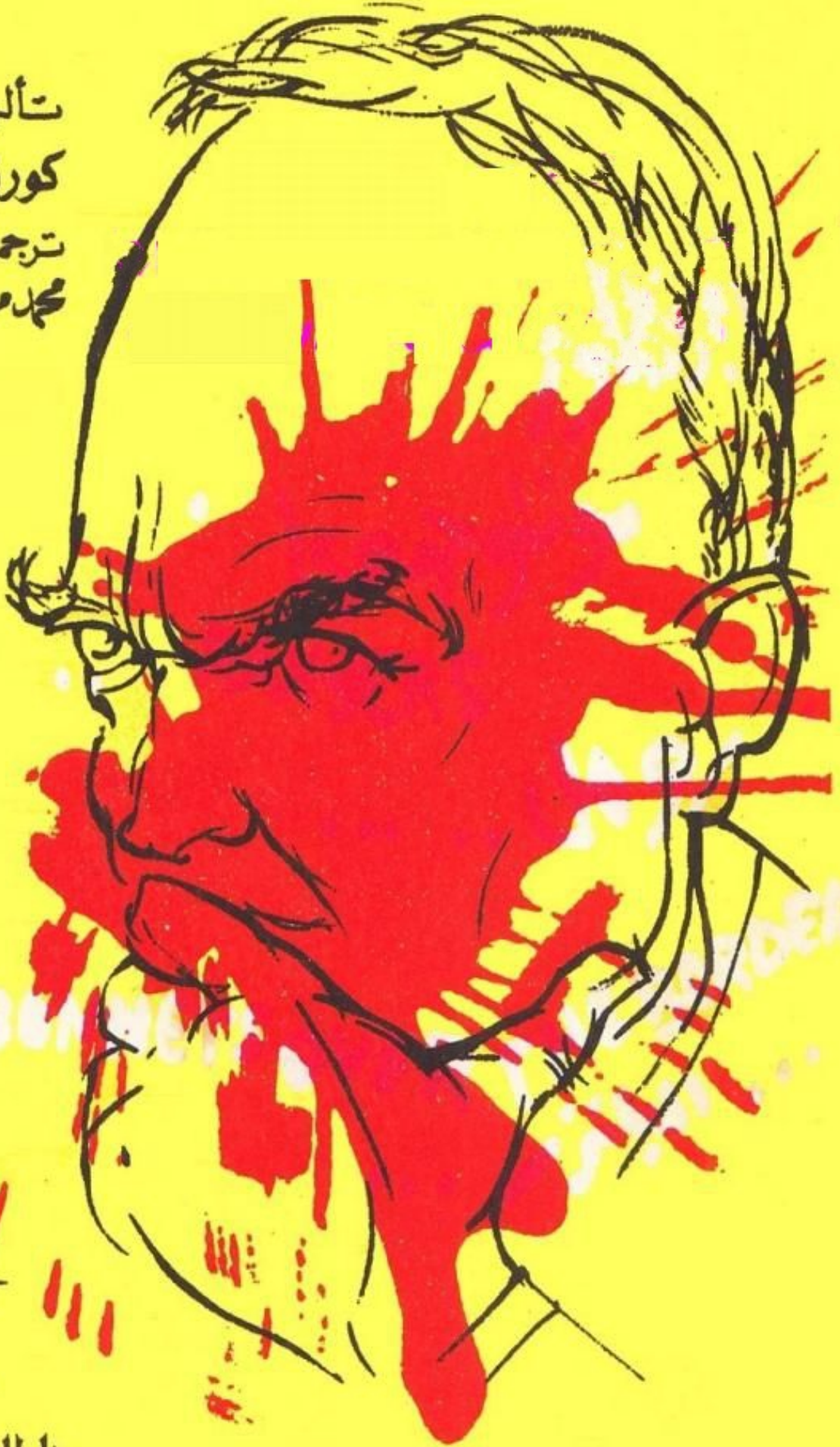


أطول يوم في التاريخ

تأليف:
كورنيليس ريان
ترجمة:
محمد مرسي أبو الليل



دار المعارف بمصر

أطول يومٍ في التاريخ

ADAPTED FROM
THE LONGEST
DAY
BY CORNELIUS RYAN

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

« إن الأربع والعشرين ساعة الأولى
من الغزو ستكون حاسمة . إن مصير
ألمانيا سيتوقف على نتائجها . سيكون
ذلك اليوم للحلفاء وألمانيا أطول يوم
... في التاريخ » .

فيلد مارشال رومل

٢٢ أبريل ١٩٤٤

فهرس

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
	الجزء الأول - التربص
١٢	١ - قرية لاروش جويون
١٤	٢ - حيرة رومل
١٦	٣ - حائط الأطلنطى
٢٣	٤ - أيزنهاور
٢٩	٥ - المخبرات السرية الألمانية
٣٣	٦ - يوم الغزو
٣٧	٧ - جنود الحلفاء
٤٠	٨ - نورمندى
٤٤	٩ - المقاومة السرية
٤٨	١٠ - الأرمادا
	الجزء الثانى - فى ظلام الليل
٥٦	١ - جنود المظلات
٦٢	٢ - الضابط الألماني بلوسكات
٦٥	٣ - بوق الصيد
٧٢	٤ - قرية سانت مير إجليز
٨٠	٥ - القيادة الألمانية
٨٤	٦ - الطائرات الزلاقة
٩٠	٧ - الغواصتان الحنفستان
٩٢	٨ - هتلر نأتم

الجزء الثالث - في وضع النهار

٩٨ .	١ - الهجوم من البحر .
١٠٧ .	٢ - معارك الشواطئ .
١٣٠ .	٣ - برختسجادن .
١٤٣ .	٤ - القرى والمدن الفرنسية .
١٤٧ .	٥ - أخيراً حلت العقدة .
١٥٣ .	٦ - يا للبطولة ! .
١٥٧ .	٧ - القوات الألمانية المدرعة ، البانزر .
١٧٠ .	٨ - الإصابات .

مقدمة

يوم الغزو - ٦ يونية سنة ١٩٤٤

بدأت الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ . وسرعان ما اكتسحت الجيوش الألمانية بولندا ومعظم غرب أوروبا . وسحبت بريطانيا جيوشها من ميدان القتال في ميناء دنكرك ، يوم ٤ يونية سنة ١٩٤٠ . وفي ذلك الوقت كان في إمكان هتلر أن يغزو بريطانيا ، ولكنه بدلا من ذلك قام بغزو الاتحاد السوفيتي .

وبعد مدة انضمت الولايات المتحدة إلى الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان ، وأخذت دول الحلفاء تستعد للمعركة الفاصلة . وأقامت ألمانيا استحکامات منيعة على طول شواطئ غرب أوروبا من الترويج إلى جبال البرانس .

بدأت عملية الغزو التي قام بها الحلفاء ضد ألمانيا الهتلرية ليلة ٦ يونية سنة ١٩٤٤ بعد منتصف الليل بقليل وعرف هذا اليوم باسم يوم الغزو (دى داي : D-Day) . وقد بدأ الغزو بإرسال جنود المظلات فوق منطقة محدودة من إقليم نورمندی . وكانت مهمة أولئك الجنود وضع

مشاعل تضيء المنطقة التي ستهبط فيها الطائرات الشراعية الزلاقة التي تحمل الجنود والمعدات الحربية .

وتقع شواطئ الغزو في منطقة نورمندی التي تجاور شبه جزيرة شربورج ، كما تشمل جزءاً من شبه الجزيرة . وقد قسمت الشواطئ إلى خمسة أقسام وأطلق على كل قسم منها اسم رمزي . ومن هذه الأقسام قسمان اختص بهما الجنود الأمريكية وأما الأقسام الأخرى فللجنود البريطانية والفرنسية وغيرهما .

وفي أثناء الليل كافحت جنود المظلات وجنود الطائرات الزلاقة كفاحاً مريراً ، وتحملت أشد المتاعب والأخطار وظلوا يعملون وسط الحقول والمستنقعات والقرى من منتصف الليل إلى الصباح الباكر . وبعد ذلك وصل أعظم أسطول عرفه العالم يتكون من خمسة آلاف سفينة تحمل نحو مائتي ألف من الجنود والبحارة .

ويصف الكاتب مراحل الغزو ، ويصورها أصدق تصوير . وقد جمع المؤلف كل ما عثر عليه من معلومات وقصص وأخبار عن هذا اليوم الذي استغل الحلفاء كل دقيقة منه حتى تثبت أقدامهم . وكذلك وصف الكاتب كثيراً من المشاعر والأحداث التي وقعت في ذلك اليوم .

الفصل الأول

التربُّص

- ١ - قرية لاروش جويون
- ٢ - حيرة رومل
- ٣ - الحائط الأطلنطى
- ٤ - أيزنهاور
- ٥ - المخابرات السرية الألمانية
- ٦ - يوم الغزو
- ٧ - جنود الحلفاء
- ٨ - نورمندى
- ٩ - المقاومة السرية
- ١٠ - الأرمادا

١ - قرية لاروش جويون

خَيِّمَ السكون على القرية صباح يوم رطيب من أيام يوزية سنة ١٩٤٤ .
 لقد أقامت تلك القرية في موضعها مئات السنين ، لا يعكر صفوها
 حادث جلل ، في منحني عظيم من منحنيات نهر السين ، في موضع
 وسط بين باريس وإقليم نورمندی . وقد امتازت تلك القرية على غيرها
 من القرى المجاورة بقصر كبير هو مقر أسرة من النبلاء الفرنسيين -
 أسرة روشفوكو - ويقع القصر فوق أرض مرتفعة خلف القرية .

وفي ذلك الصباح القاتم ، كان الهدوء سائداً في أرجاء القصر ،
 وظلت نوافذ القرية مغلقة ، حتى بدت كأن سكانها هجروها . ولكن
 الواقع أن السكان كانوا في ذلك الوقت يقفون خلف نوافذ بيوتهم ينتظرون
 أجراس الكنيسة ، التي تدق في الساعة السادسة صباحاً إعلاناً بانتهاء
 حظر التجول ، والسماح لأهل القرية بالخروج من مساكنهم .

وكنيسة سانت سامسون ترجع إلى القرن الخامس عشر بعد الميلاد .
 وقد اعتاد أهل القرية ، وهم قوم متدينون ، أن ينشعوا ويرفعوا أكفهم
 بالدعاء عندما يسمعون جرس الكنيسة . ولكن منذ الاحتلال الألماني
 أصبح جرس الكنيسة إعلاناً بانتهاء الليل الذي لا يخرجون فيه من مساكنهم ،
 فقد كان الاحتلال الألماني في تلك القرية أشد ضغطاً منه في كثير من

الأنحاء الأخرى من فرنسا التي كان يحتلها الألمان .

وقد كانت القرية سجنًا لأهلها وعددهم ٥٤٣ ولكن كان فيها من الألمان ثلاثة أضعاف هذا العدد . وقد اختارها الفيلد مارشال رومل مقرًا لقيادته . وكان يقود جيشاً يعتبر أكبر قوة ألمانية في غرب أوروبا . وقد انتشر الألمان في كل مكان من القرية . وأقيمت المدافع على المرتفعات المحيطة بالقرية .

وفي السنة الخامسة من الحرب الثانية استعد رومل بعزم وثبات لكي يخوض معركة حياة أو موت . وكان تحت إمرته نصف مليون من الجنود يقفون على استعداد للدفاع عن خط هائل من استحكامات الشواطئ التي تمتد نحو ٨٠٠ ميل من هولندا إلى الطرف الغربي من بريتاني . وكان الجيش الخامس عشر الألماني مركزاً في منطقة بادى كاليه^(١) وهي أضيق نقطة في القنال الإنجليزي بين بريطانيا وفرنسا .

وقد ظلت القوات الألمانية تقف على قدم الاستعداد ، خلف دغل من العقبات الشاطئية الكأداء ، وحقول من الألغام المبتوثة في كل شبر من الشاطئ . ولكن القنال الإنجليزي ظل هادئاً لا تعبره سفن ، ولم تظهر بادرة تشير إلى الاستعدادات التي كان يقوم بها الحلفاء لغزو فرنسا ، حتى صباح الأحد ٤ يونية سنة ١٩٤٤ .

(١) بادى كاليه (Pas-de-Calais) هو الاسم الفرنسى لمضيق دوفر الإنجليزي

وتقع عليه ميناء كاليه بفرنسا .

٢ - حيرة رومل

كان لرومل في قصر الدوق فرانسوا روشفوكو حجرة واسعة . وفي ذلك الوقت كان رومل يبلغ الحادية والخمسين ، لكنه كان يبدو أكبر سنًا . ولم تكن عادة رومل أن ينام أكثر من خمس ساعات في اليوم . وفي الليلة السابقة استيقظ قبل الرابعة صباحاً ثم راجع بعض الأوراق استعداداً للرحيل في إجازة قصيرة إلى مرطنه في ألمانيا . وتلك كانت أول راحة له منذ عدة أشهر . ولم يكن من السهل عليه أن يحدد موعد سفره ، فقد كان يحمل على عاتقه مسئولية صد الهجوم الذي سيقوم به الحلفاء .

وفي ذلك الوقت كانت الحكومة الألمانية تشكو عبء النكبات المتتالية التي تنزل بها . وقد كانت الألوف من القاذفات تسقط قنابلها على ألمانيا ليلاً ونهاراً . وكانت جيوش الاتحاد السوفييتي تكتسح بولندا ، كما أن جيوش الحلفاء الأخرى كانت تدق أبواب روما . ولقد كان بين ألمانيا والهزيمة مرحلة طويلة ، ولكن غزو الحلفاء سيكون المعركة الفاصلة ولم يكن هناك من يعرف أكثر من رومل أن مصير ألمانيا سيكون عندئذ في الميزان .

والواقع أن رومل منذ وصوله إلى فرنسا في أواخر سنة ١٩٤٣ ،

كان يعيش في كابرس من القلق والاضطراب . لقد شغل باله أمر الغزو ، وهو يحاول أن يتنبأ بخطط الحلفاء وبالمكان الذي ينتظر منه الهجوم ، ولكن أكثر ما كان يهيمه هو الموعد المحدد للهجوم . وقد أفضى رومل إلى زوجته لوسى مارى ، بكثير مما كان يجول بخاطره ، وفي أقل من أربعة أشهر أرسل إليها أكثر من أربعين خطاباً ، ويتجلى في تلك الخطابات قلقه الذي يزداد يوماً بعد يوم . وقد كتب لها يوم ١٩ مايو سنة ١٩٤٤ : « آمل أن أنجز خططى بأسرع من ذى قبل ، وإني أفكر أن أستريح بضعة أيام في يونية أترك فيها مقر عملى » .

ومن الأسباب التى شجعت رومل على قرار الرحيل فى هذا الوقت تقديره الشخصى لخطة الحلفاء المنتظرة . وقد اطلع فى ذلك الصباح على التقرير الأسبوعى الذى يعدونه بكل دقة . وقد ذكر فيه رومل : « قد بلغ الحلفاء درجة عالية من الاستعداد . وهناك قدر متزايد من الرسائل التى تبلغ إلى جهات المقاومة السرية . ولكن قياساً على ما جربناه فيما مضى ، لا يدل هذا على أن الغزو على الأبواب » .

وكان رومل على ثقة تامة بأن هذا الوقت أنسب وقت لتركه مقر القيادة الرئيسى ، فإن شهر مايو قد انتهى ، وكان الطقس فيه أفضل ما يكون بالنسبة لهجوم الحلفاء . وقد استنتج رومل من ذلك أن الغزو لن يبدأ قبل مضى بضعة أسابيع أخرى . ولهذا حدد المواعيد لإتمام

جميع برامج الاستحكامات المضادة للغزو . وقد أرسل تعليماته إلى القوات بأن يسيروا قدماً في جميع المراحل بحيث يتم كل شيء قبل يوم ٢٠ يونية . وكان الطقس في الأيام الأخيرة في غرب أوروبا رديئاً ، وينذر بأن يزداد سوءاً ، ولهذا رأى رومل أن الجلفاء لن يجازفوا بإرسال قواتهم في الأيام القليلة المقبلة . وفي الساعة السادسة من صباح ٤ يونية نزل رومل مع معاونه لانج إلى حجرة الإفطار . وكان لانج يحمل معه تقرير الصباح . ولم يكن في التقرير شيء جديد ، فإن جبهة الغزو ظلت هادئة ، فيما عدا القنابل التي تستمر كل ليلة في منطقة كاليه . ولا شك أن هذا الضرب المستمر ليلاً ونهاراً ، يشير إلى أن هذه المنطقة هي التي اختارها الحلفاء لهجومهم المنتظر . ويكاد الجميع يجمعون على هذا الرأي .

٣ - حائط الأطلنطي

لقد استغل رومل كل لحظة من وقته في تشييد الاستحكامات الشاطئية وكان من عاداته أن يخرج في رحلات إلى الأقسام المختلفة ، فمرة إلى هولندا ومرة إلى بلجيكا ، ويوماً يذهب إلى نورمندی أو إلى بريتاني ، وكان يقول لمعاونيه لانج الذي كان يرافقه في معظم رحلاته : « ليس لي إلا عدو واحد وهو الزمن » ولكي يقهر الزمن لم يرحم نفسه ولم يرحم أحداً



مونتجومری



رومل

ممن يعملون تحت إمرته منذ أن قدم إلى فرنسا في نوفمبر سنة ١٩٤٣ .
وبعد وصوله بقليل ، قام بتفتيش طائر في سرعة خاطفة « لحائط
الأطلنطي » . وقد أفزعه ما رأى ، فإن الاستحكامات الضخمة التي
يقيمونها بالحرسانة المسلحة ، ومن الصلب ، لم تكتمل تماماً ، إلا في
بعض الأماكن القليلة مثل الموانئ الرئيسية ومصبات الأنهار من الهافر إلى
هولندة . أما في الأماكن الأخرى فإن وسائل الدفاع ما زالت ناقصة ،
وفي بعض الأماكن لم يبدأ بعد في إنشائها .

ولقد كان « حائط الأطلنطي » ، حتى في حالته الراهنة ، حاجزاً
منيعاً . وفي الأماكن التي تمت فيها الاستحكامات ، كان هناك
حشد من المدافع الضخمة . ولكن ليس بالقدر الذي يطمئن له رومل .
وقد أدرك أن جميع ما أعدوه من الاستحكامات الدفاعية ليس بالقدر
الذي يكفي لصدّ القوة التي يعرف أنها ستأتي . وأمام عينه الفاحصة
بدا الحائط الأطلنطي مهزلة .

ومنذ سنتين (أي سنة ١٩٤٢) لم يكن هناك حائط مطلقاً ، إذ لم
تكن هناك حاجة إلى استحكامات ساحلية ، فقد احتلت جيوش هتلر
الجزء الأكبر من القارة الأوروبية ، وقذف بالجيوش البريطانية في
دنكرك إلى البحر . ولم يبق أمامه إلا بريطانيا التي وقفت ضده وحدها .
وقد دعاه قواده إلى غزوها ، ولكنه لم يلب دعوتهم لأنه كان منهمكاً في

الحرب مع الاتحاد السوفيتي وقد بدأ هجومه عليها في يونية سنة ١٩٤١ .
 بدأت بريطانيا، بمعونة الولايات المتحدة ، تعد نفسها من جديد ،
 وأخذت تسترد قواها . وفي خريف سنة ١٩٤١ ، دعا هتلر قواده ،
 وطلب منهم أن يجعلوا أوروبا قلعة منيعة لا يمكن اقتحامها . وفي ديسمبر من
 ذلك العام أعلن هتلر أن هناك نطاقاً من الحصون والاستحكامات
 الضخمة يمتد من النرويج في أقصى الشمال إلى جبال البرانس في الجنوب
 وهي مسافة تقرب من ٣٠٠٠ ميل .

وفي سنة ١٩٤٢ عندما أخذت الحرب تتحول ضد هتلر ، بدأ
 الكوماندوز البريطانيون يغزون قلعته المنيعة . وقد قام خمسة آلاف من
 الكوماندوز الكنديين بالنزول إلى البر عند ميناء ديب ، وبلغت
 الإصابات بينهم ٣٣٦٩ منها ٩٠٠ قتلى . ولهذا كانت غزوة فادحة
 الحسائر ، ولكنها هزت هتلر هزاً عنيفاً . ومن تلك المغامرة عرف الحلفاء
 مدى قوة التحصينات التي أقيمت في الموانئ . لقد صرخ هتلر في قواده
 أن يتموا حائط الأطلنطي بأسرع ما يمكن ، وبعد ذلك سارت التحصينات
 بسرعة جنونية .

اشتغل آلاف من العمال المسخرين ليلاً ونهاراً واستخدموا من
 الإسمنت المسلح والصلب فوق ما يتصور الإنسان . ولشدة الطلب على
 المعدات المختلفة ، أخذوا من خط ماجينو الفرنسي وخط سيغفريد
 الألماني أجزاء كثيرة نقلوها إلى الحائط الأطلنطي . وما انتهت سنة ١٩٤٣
 حتى كان نحو نصف مليون من الرجال يعملون في إقامة الاستحكامات

التي أصبحت خطراً حقيقياً ، ولو أن الحائط الذي أراده هتلر كان أبعد ما يكون عن التمام .

أيقن هتلر أن الغزو قريب ، وأصبح يواجه مشكلة عظيمة ، وهي أن يجد الجيوش الكافية التي تدافع عن تلك الاستحكامات . ولكنه كان مضطراً إلى أن يحتفظ بجيش عظيم في الجهة الشرقية التي يبلغ طولها ألفين من الأميال . وكان مضطراً إلى وضع قوة كبيرة من الجيش الألماني في إيطاليا ، التي خرجت من الحرب بعد غزو صقلية . ولهذا اضطر هتلر إلى حشد مجموعة مختلطة من الجنود بعضهم من المسنين وبعضهم من الشبان الصغار وبعضهم من « المتطوعين » من سكان البلاد المحتلة . وكانت هناك وحدات من البولنديين والمجريين والتشيك والرومانيين ، واليوجوسلاف وغيرهم ، على أساس أنه إذا كان أولئك الجنود لا يوثق بهم في المعارك فإنهم يصلحون لسد الثغرات . وكان عند هتلر قسم صاب العود من الجنود الذين عرّكهم الحروب ، وقسم آخر من البانزر الأشداء . وعندما تحين الساعة يكون عند هتلر قوة في الغرب لا تقل عن ستين فرقة من الجنود المدربين .

ولم تبلغ جميع هذه الفرق درجة الكمال في القوة الحربية ، ولكن هتلر كان يعتمد على « حائط الأطلنطي » . ومع ذلك فإن بعض الرجال أمثال

رومل ، الذين عرفوا الانتصار والهزيمة في جبهات أخرى ، ذهبوا عندما وقع بصرهم على الاستحكامات . وقد قال فون روند شتدت القائد العام لغرب أوربا إن «حائط الأطلنطي» لم يكن إلا خدعة هائلة. وقد يعوق هجوم الحلفاء مؤقتاً ، ولكنه لن يوقفه تماماً. وكانت خطة فون روند شتدت أن يبقى قوات كبيرة من الجنود بعيدة عن الشاطئ ، وأن يهجم بعد أن تكون جنود الحلفاء قد نزلت إلى البر ، قبل أن يسترد العدو قواه ، وهو يكافح لإقامة رءوس الجسور المنعزلة .

وكان رومل يرى غير هذا الرأي . رقد قال وهو يقف على بعض الشواطئ : « سنكسب الحرب أو نخسرهما فوق هذه الشواطئ . ستكون لنا فرصة واحدة فقط نوقف فيها العدو وذلك عندما يحاول النزول إلى البر . لن نستطيع دعوة الاحتياطي للهجوم . وكل ما لدينا من قوة يجب أن يوضع على الشاطئ . . . إن الأربع والعشرين ساعة الأولى من الغزو ستكون الساعات الفاصلة بالنسبة للحلفاء وبالنسبة لألمانيا ، ستكون تلك الساعات أطول يوم عرفه الإنسان » .

* * *

وقد استطاع رومل في أشهر قليلة أن يغير الحالة بأكملها . فأمر جنوده أن يقيموا حواجز من الموانع المضادة للغزو ، وذلك بمعونة فرق من العمال المسخرين من أهل البلاد . وقد غرسوا تلك الموانع في الشواطئ تحت مستوى المد مياه الجزر ، وربطوا بكل منها ألغاماً فتاكة . ولما نفذ

مالديهم من الألغام استعملوا قنابل صوبت مقدماتها نحو البحر وتكفي لمسة بسيطة لانفجارها في الحال . وقد ابتكر رومل كثيراً من هذه الحواجز . وكان الغرض منها أن تقلب السفن وتدمرها ، أو أن تعرقل حركتها مدة تكفي لتوجيه مدافع الشواطئ إليها . وقد كان يعتقد أن الجنود التي ستحملها سفن الغزو سيفنى أكثرها قبل أن تصل إلى الشواطئ .

ولم يقنع رومل بذلك . بل أمر بوضع الألغام في الرمال وفي المواقع البارزة ، وفي الممرات التي تخرج من الشاطئ . وكانت الشواطئ مملأة بهذه الألغام ، التي بلغ عددها نحو خمسة ملايين . وقد اعتقد رومل أنه يستطيع أن يضع على الشواطئ ستين مليوناً من الألغام . وقد وقف الجنود يشرفون على طول الشاطئ ، خلف هذه الأجمة من الألغام والموانع ، وهم في حماية مدافعهم القوية ومخابئهم من الإسمنت المسلح ، وفي خنادق المواصلات وكلها محاطة بطبقات من الأسلاك الشائكة . وقد وضعت المدافع بإحكام بحيث تعطى غطاء متصلًا من النيران . وقد صوبت المدافع فوهاتها لا إلى البحر ، ولكن إلى الشاطئ بحيث تطلق نيرانها على مسافات قريبة تحصد موجات الجيوش المغيرة .

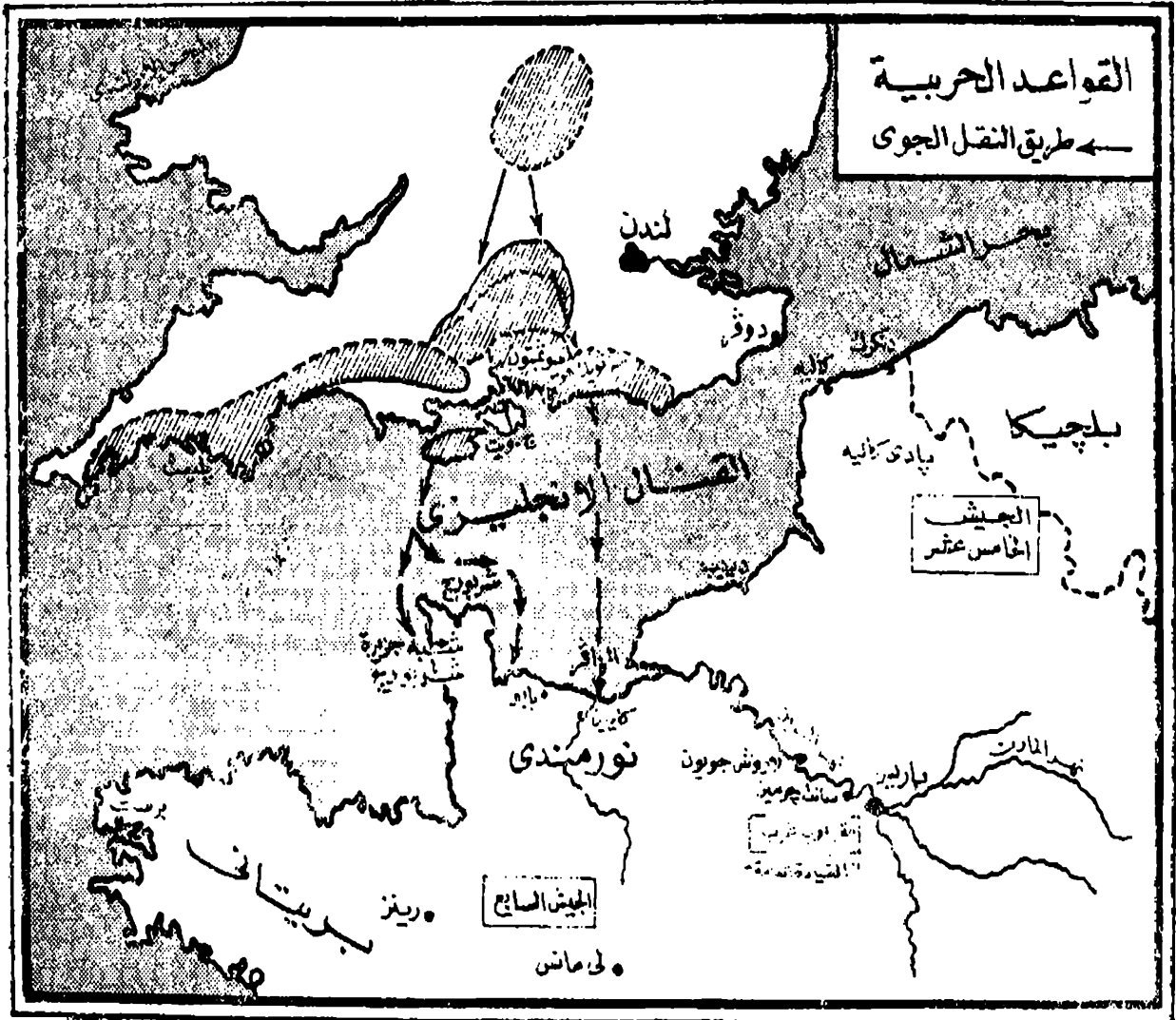
وقد استغل رومل كل تطور جديد في صنع الأسلحة . وعندما نفذ ما كان لديه من المدافع ، أقام بطاريات من قاذفات الصواريخ وقاذفات الهاون . وبعض الأسلحة كانت مما يمكن توجيهه بالأجهزة

الموجهة من حصون قائمة على الشاطئ ، بحيث تنفجر وسط السفن أو الجنود عند نزولهم إلى البر . وقد استعمل رومل قاذفات اللهب الأوتوماتيكية ، ولهذا وضع على طول الجبهة في مواضع معينة شبكة من الأنابيب تأخذ وقودها من خزانات مستورة وتمتد إلى قرب الشواطئ ، وبالضغط على زرمعين تبتلع النيران الملتهبة الجنود الزاحفة على الشاطئ .

ولم ينس رومل خطر جنود المظلات وجنود المشاة الذين تحملهم الطائرات الزلافة . ولهذا أغرق مساحات واسعة من الأراضي المنخفضة خلف الاستحكامات ، كما عمد إلى الحقول التي تبعد من سبعة إلى ثمانية أميال عن الشاطئ . فغرس فيها خوازيق ثقيلة ، ووصل بينها بالأسلاك الشائكة ، وجعل فيها كثيرا من المصائد . وإذا لمس شخص هذه الأسلاك فإن ألغاما أو قنابل تنفجر في الحال .

والواقع أنه لم يحدث في تاريخ الحروب الحديثة أن أعدت استحكامات أشد مناعة وأعظم فتكاً . ومع ذلك فلم يكن رومل راضياً كل الرضا ، فقد كان يريد المزيد من المخابىء ومن العوائق والألغام ومن الجنود والمعدات الحربية . وعلاوة على ذلك كان رومل يريد فرقاً عديدة من فرق البانزر التي كانت قابضة « كاحتياطي » بعيداً عن الشاطئ وقد أصر هتلر على الاحتفاظ بهذه الفرق تحت رئاسته الشخصية ، وكان رومل يحتاج منها إلى خمس فرق على الأقل لتكون على الشاطئ استعداداً للهجوم المضاد ،

أثناء الساعات الأولى من هجوم الحلفاء . ولم تكن هناك سوى وسيلة واحدة للحصول على هذه الفرق ، وهي أن يقابل هتلر .



٤ - أيزنهاور

في وسط غابة تبعد ميلين عن مقر القيادة البحرية في « سوثويك هاوس » اختار أيزنهاور مسكنه المتقل (مقطورة ملحقة بسيارة) الذي يبلغ وزنه أكثر من ثلاثة أطنان ، والذي لا يحوى إلا الضرورى من الأثاث . وقد فضل أن يكون مسكنه أقرب ما يمكن إلى الموانى التي

تقرر أن ترحل منها جنوده . وقد أطلق على مقطورات أركان حربه ومقطورته قافلة السيرك وعلى مسكنه «عربة السيرك»، وكان يتكون من ثلاث مقصورات صغيرة للنوم والمكتب والجلوس . وكان يعقد اجتماعات هيئة أركان الحرب في خيمة ملاصقة لمسكنه .

ومن هذه العربة قاد أيزنهاور ما يقرب من ثلاثة ملايين من جنود الحلفاء . وكان أكثر من نصف جيشه الضخم هذا من الجنود الأمريكيين إذ كان عددهم يقرب من ٧٠٠,٠٠٠ أما القوات البريطانية والكندية فكانت تبلغ مليوناً ويضاف إليهم وحدات^(١) من الفرنسيين والبولنديين والتشيك والبلجيكيين والنرويجيين والهولنديين .

وعلى الرغم من ضخامة المهمة التي اضطلع بها أيزنهاور ، ومن سلطاته الواسعة فقد كان هناك القليل الذي يدل على أنه القائد الأعلى . فهو لا يحمل أكثر من النجوم الأربعة التي تمثل رتبته ، ومن شريط واحد من النياشين فوق جيب الصدر ، وشعار السيف اللامع الدال على القيادة العليا لقوات حملة الحلفاء . وحتى عربته لم يكن بها دليل على أنها عربة القائد العام ، فليس هناك أعلام ولا خرائط ولا صور فوتوغرافية ممهورة بتوقيعات . ولكن كان هناك ثلاثة تليفونات لكل لون خاص : الأحمر للاتصال بواشنطن في الولايات المتحدة ، والأخضر للاتصال مباشرة

(١) التعبير الصحيح «سوقات» من المجندين في دفعة واحدة وفي أعمار متقاربة .

بمقر الحكومة الإنجليزية . والأسود يوصله بأركان حربه ورئيس الهيئة ومقر القيادة المباشر وبعض كبار أعضاء القيادة العليا .

وقبل أن يعرف أحد أن أيزنهاور سيكون القائد العام لجيوش الحلفاء بزمن طويل ، شكلت مجموعة صغيرة من الضباط الإنجليز والأمريكيين ، تحت قيادة جنرال بريطاني ، وهو سير فريدريك مورجان لإعداد خطة الهجوم . وكانت المشاكل أمامهم معقدة بشكل يفوق التصور . فقد ظلوا شهوراً طويلاً ، وهم يحسبون كيف يمكن توفير القدر اللازم من الجنود والمعدات وكيف يمكن الحصول على القدر اللازم من ناقلات الجنود ، وكيف يمكن إعداد المطارات الكافية لآلاف الطائرات ، التي لا بد منها من أجل الهجوم الجوي .

كانت هناك آلاف من المشاكل ، واحتاج الأمر إلى الدراسة وتعديل الخطط والتوسع فيها ، واختبارها للوصول إلى الخطة النهائية التي عبروا عنها بالكلمة السرية « أوفرلورد » . وبعد أن تولى أيزنهاور القيادة العامة طالب المزيد من الرجال ومن السفن ومن الطائرات ومن المعدات والمواد الضرورية .

وكان التنسيق بين هذه المهام وحشد هذه كلها عملاً هائلاً . بل إنهم قبل أن يصلوا بالخطة إلى شكلها النهائي أخذ سبل من الرجال والمعدات يتدفق على بريطانيا بشكل لم يسبق له مثيل . وسرعان ما كان هناك

عدد كبير من الأمريكيين في المدن والقرى ، حتى إن بعض تلك المدن والقرى أصبح سكانها أقلية ضئيلة ، وسرعان ما ازدحمت دور السينما والفنادق والمطاعم وصالات الرقص ومشارب الخمر . بجنود من جميع الولايات الأمريكية .

وظهرت المطارات في كل مكان . ومن أجل الهجوم الجوي أنشئت ١٦٣ قاعدة بالإضافة إلى عشرات القواعد الجوية التي كانت موجودة قبلا . وأفعمت الموانئ حتى ضاقت بحشود السفن فقد وُذد عليها أسطول بحري لحماية الغزو يتكون من نحو ٩٠٠ سفينة حربية . ووصلت قوافل السفن بأعداد عظيمة ، وما جاء ربيع سنة ١٩٤٤ حتى كانت قد أنزلت ما يقرب من مليونين من الأطنان من البضائع والإمدادات ، واحتاج الأمر إلى إنشاء نحو ١٧٠ ميلا من الخطوط الحديدية الجديدة لنقلها .

وفي مايو أصبح جنوب إنجلترا ترسانة هائلة ، وأخفيت في الغابات أكوام من الذخيرة ، وانتشرت على جوانب التلال عربات مصفحة ودبابات وعربات نقل وسيارات جيب ، وسيارات للإسعاف . وكان عدد هذه كلها أكثر من ٥٠,٠٠٠ وحدة ، وفي الحقول امتدت هناك صفوف طويلة من مدافع الهاوتزر والمدافع المضادة للطائرات ، وأقيمت مخازن ضمت مقادير عظيمة من الأغذية والملابس والمواد الطبية من العقاقير المختلفة إلى أسرة المستشفيات التي بلغ عددها ١٢٤,٠٠٠ سرير .

لكن أعظم ما يذهل المرء الصفوف الممتدة من القاطرات ومعدات
والسكك الحديدية ، فقد كان هناك نحو ألف من القاطرات الجديدة ،
وما يقرب من ٢٠,٠٠٠ من ناقلات البترول^(١) وعربات البضائع التي
يحتاجون إليها ، بعد أن يتم لهم إقامة رأس جسر على الشاطئ الفرنسي .
وكانت هناك ابتكارات غريبة من أجهزة الحرب ومعداتنا ، فثمة
دبابات تعوم في الماء ، وأخرى تحمل لفافات عظيمة من السيور التي
تستعمل لعبور الخنادق المضادة للدبابات أو كسلام لتسلك الجدران .
وهناك دبابات مزودة بسلاسل ضخمة مشدودة على قوائم خاصة تضرب
الأرض أمام الدبابة لكي تفجر ما يكون مبثوثا في الأرض من الغام .
وكانت هناك سفن مسطحة تحمل كل منها غابة معقدة من الأنابيب ،
وذلك لإقامة قواعد لسلاح من أحدث الأسلحة الحربية ، وهو الصواريخ .
وأغرب من هذا كله ميناءان صناعيان كان المفروض أن تجرهما السفن
إلى شواطئ نورمندی وكان الميناء الصناعي من معجزات الهندسة ،
ومن الأسرار الحربية . والميناء الصناعي يجعل في الإمكان نزول سبل مستمر
من الرجال والإمدادات إلى رأس الجسر في الأسابيع الأولى للحملة ، لي
أن يستولى الحلفاء على أحد الموانئ الطبيعية . ويتكون الميناء من حاجز
بحري مصنوع من عوامات ضخمة من الصلب ، ومن نحو ١٤٥ كتلة
مفرغة (قيسون) من الإسمنت المسلح تلتقى إلى البحر جنبا إلى جنب

(١) الفناطيس المحملة على عربات السكك الحديدية .

بحيث يتكون منها حاجز بحرى داخلى ، وبداخل أحد هذه القيسونات
أماكن للبحارة ومدافع مضادة للطائرات ، وكان يبدو كأنه بناء من
خمسة أدوار رقد على جانبه . وفي هذه الموانئ الصناعية تستطيع سفن
البضائع تفريغ حمولتها ، إما إلى سفن صغيرة أو إلى الرصيف الصناعى ،
حيث تنقل البضائع إلى سيارات اللورى التى تحملها إلى الشاطئ .
وعلاوة على ذلك حشدت هناك ستون سفينة تحمل الإسمنت المسلح ،
كان من المقرر أن تهبط تحت الماء فيتكون منها حاجز بحرى إضافى .
وهكذا يقام ميناءان صناعيان أمام شاطئ الغزو وكل منهما فى حجم ميناء
دوفر .

واستمر طوال شهر مايو العمل فى نقل الرجال والمعدات إلى مناطق
التجمع ، وكانت أكبر المشاكل هى مشكلة الزحام . واستطاع المشرفون
ورجال البوليس الحربى والمسئولون عن السكك الحديدية البريطانية ،
تنسيق العملية فسار كل شىء فى نظام وفى موعده . وكانت القوافل تملأ
الطرق ، وغطيت القرى بطبقة من التراب الناعم ، وتحولت الليالى الهادئة
التي اعتادتها إنجلترا فى الربيع إلى صحب وضوضاء . وبين عشية وضحاها
قامت مدن من الأكواخ الصناعية ونصبت الخيام فى المناطق الساحلية ،
بينما كانت الجنود تصل باستمرار إلى مناطق الترحيل . وينام الرجال فى
أسرة يضعونها ثلاثة أو أربعة بعضها فوق بعض . أما دورات المياه فى
الغالب تبعد مسافة طويلة ، وعلى الرجال أن يقفوا فى « طوابير » طويلة حتى

يتقاضى كل منهم حاجته . وللغداء كذلك عليهم أن يقفوا في طوابير وقد يصل طول الطابور إلى ربع ميل . لقد بلغت القوة المتجمعة في جنوب إنجلترا حدًا يفوق الخيال .

وانتظرت هذه الملايين قرار رجل واحد : أيزنهاور .

٥ - المحابرات السرية الألمانية

في مقر قيادة الجيش الخامس عشر الألماني قرب الحدود البلجيكية ، وعلى بعد ١٢٥ ميلاً منها ، كان هناك رجل سره أن يرى صباح ٤ يونيو سنة ١٩٤٤ وذلك هو اليفتنانت كولونيل هلموث ماير . لقد كان في ذلك الوقت يجلس في مكتبه هزيبلاً ذابل العينين . لأنه لم ينم نوماً كاملاً منذ أول يونيو . ولكن الليلة الأخيرة كانت أسوأ ليلة مرت عليه .

كانت مهمة ماير مهمة شاقة . ففضلاً عن كونه ضابط المحابرات السرية للجيش الخامس عشر فقد كان أيضاً رئيساً للفرقة الوحيدة التي تعمل في مقاومة التجسس في جبهة الغزو . وكان مساعده الأساسيون لايزيدون على ثلاثين رجلاً مجندين لالتقاط الرسائل اللاسلكية . وهم يعملون في ورديات متصلة طوال الأربع والعشرين ساعة في مخبأ من الإسمنت المسلح . وفي ذلك المخبأ حشدت أدق أنواع الأجهزة اللاسلكية . وكانت مهمتهم الاستماع فحسب ولكن كلا منهم كان خبيراً يتحدث بثلاث لغات بطلاقة . ولا تكاد تنطلق

كلمة واحدة أو تسرى همسة خافتة يهمس بها هامس في الأثير من مصادر إذاعات الحلفاء ، إلا وتلتقطها هذه الأجهزة الدقيقة ، ويستمعون إليها ويسجلونها .

وكان رجال ماير ذوى خبرة عظيمة ، وكانت الأجهزة غاية في الدقة ، حتى إنهم يلتقطون أى نداء يصدر من إذاعة لاسلكية محلية ترسل من سيارة جيب للبوليس الحربى فى إنجلترا ، على بعد أكثر من مائة ميل . وكان البوليس الحربى الأمريكى والبريطانى أحياناً يتبادلون الحديث باللاسلكى عندما يوجهون قوافل الجنود ، وقد ساعد ذلك « ماير » فى إعداد كشف بمختلف فرق الجيوش المعسكرة فى إنجلترا . ولكن منذ زمن لم يستطع رجال ماير أن يلتقطوا شيئاً من هذه النداءات . وقد فسر ماير ذلك بأن ولاة الأمور فى إنجلترا أصدروا أمراً مشدداً بفرض حظر كامل على التحدث فى الأجهزة اللاسلكية ، وقد كان هذا دليلاً يضم إلى الأدلة الكثيرة التى تدل على أن الغزو أصبح وشيكاً .

وقد استطاع ماير بواسطة تقارير المخابرات التى تجمعت لديه ، أن يتصور خطط الحلفاء وأن يرسم لها صورة على هذا الأساس . وكان بارعاً فى عمله ، يبحث دائماً عن كل ما هو غريب ، وما يثير الشك ، وحتى الأشياء التى لا يصدقها العقل . وفى أثناء تلك الليلة (يونية) التقط رجاله شيئاً مما لا يصدقها العقل ، لقد كانت الرسالة تلغرافاً صحفياً عاجلاً :

« الصحافة المتحدة برقية عاجلة موجزة : مقر قيادة أيزنهاور تعلن نزول الحلفاء في فرنسا » .

ذهل ماير ، وكان أول ما خطر بباله أن يحذر رجال مركز القيادة العامة . ولكنه انتظر مهدئاً من روعه ، وذلك لأنه أدرك أن الرسالة لا بد أن تكون مزورة ، فليس هناك نشاط من أى نوع في جبهة الغزو . ولو كان هناك هجوم فعلاً فلا بد أن يبلغه الخبر في الحال . وهناك سبب آخر وهو أن الأميرال كناريس ، رئيس المخابرات الألمانية ، كان قد أعطاه في يناير الماضي بياناً عن إشارة غريبة مكونة من قسمين سيستخدمها الحلفاء لتنبه حركات المقاومة في فرنسا قبيل الغزو .

وكان كناريس قد حذر القيادة بأن الحلفاء سيذيعون إلى أعوانهم من رجال المقاومة مئات من الرسائل في الأشهر السابقة للهجوم ، ولكن الرسائل التي تشير إلى يوم الغزو لن تكون كثيرة العدد . أما باقي الرسائل فستكون خدعة يقصد بها التضليل . وقد عرف ماير من تجاربه السابقة أن الحلفاء قد زودوا جميع العملاء الألمان من استكهلم إلى أنقرة بأخبار عن المكان والزمان الذي سيقع فيه الغزو ولكن كل تقرير من تقارير أولئك العملاء يختلف عن التقرير الآخر .

وقد التقط رجال ماير في ليلة أول يونية ، بعد أشهر طويلة من السهر والتدقيق ، القسم الأول من رسالة الحلفاء على النحو الذي

وصفه كناريس تماماً . كانت الرسالة مختلفة عن غيرها من مئات الحمل السرية التي التقطها رجاله أثناء الأشهر السابقة . ففي كل يوم ، بعد نشرة الأخبار العادية ، يذيع المذيع تعليمات بالشفرة الفرنسية والهولندية والدايمركية والرويجية ، لكي يستمع إليها رجال المقاومة . ولم يستطع ماير أن يفهم شيئاً من معظم الرسائل ، ، مثل « حرب تروادة لن تكون » ، ومثل « جون له شارب طويل » و « لقد أصيبت ساين بالجدري والصفراء » ولكن الرسالة التي التقطها رجاله بعد نشرة الأخبار في الساعة التاسعة مساءً في ليلة أول يونية ، كانت مما يستطيع ماير أن يفهمه جيداً . قال المذيع باللغة الفرنسية : تفضلوا بالاستماع إلى بعض الرسائل الشخصية ؛ وفي الحال أوصل السارجنت فالتر راينلينج الراديو إلى جهاز التسجيل . وبعد فترة من السكون سمعوا هذه العبارة بالفرنسية : « النواح الطويل من كمنجات الحريف » .

وفجأة ضغط راينلينج على سماعتي الأذن ، ثم خلعهما عن رأسه وأسرع إلى مقر عمل ماير واندفع إلى مكتبه مضطرباً ، وهو يقول : « سيدى أول قسم من الرسالة ، هذا هو . . . » . ثم عاداً معاً إلى الخبأ ، وهناك استمع ماير إلى جهاز التسجيل ، وسمع حقاً ما كان كناريس قد حذرهم أن يتنبهوا له . كانت الرسالة هي الشطر الأول من نشيد الحريف للشاعر الفرنسي پول قرلان من شعراء القرن التاسع عشر . وكان كناريس قد نبههم إلى انتظار هذه الرسالة في أول الشهر أو في

منتصفه . وهي تمثل الشطر الأول من رسالة تعلن عن غزو الحلفاء .
 أما الشطر الثاني من الرسالة فإنه سيكون الشطر الثاني من قصيدة قرلان
 وهو : « تجرح قلبي بهذا الحمول والملل » . وعندما يذاع هذا الشطر
 يعلمون أن الغزو سيكون في مدى ثمان وأربعين ساعة .

وفي الحال أبلغ ماير رئيس أركان حرب الجيش الألماني الخامس عشر
 وهذا أبلغ جميع الجهات لتحذير الجيش الخامس عشر . وأرسلت الرسالة
 إلى مقر القيادة العليا ، ثم اتصلوا بمقر قيادة فون روند شتدت في باريس
 ومقر قيادة رومل في لاروش جوايون .

٦ - يوم الغزو

ظل أيزنهاور طول يوم ٤ يونية في عربته . لقد فعل هو وقواده
 كل ما في إمكانهم ليضمنوا كل فرصة ممكنة للنجاح بأقل ما يمكن من
 الخسارة في الأرواح . ولكن بعد كل هذه الأشهر من التخطيط العسكري
 والسياسي أصبحت العملية كلها تحت رحمة الطبيعة . أصبح أيزنهاور
 عاجزاً ، وأصبح كل ما في إمكانه أن يفعله هو أن ينتظر ويؤمل أن
 يتحسن الطقس . ولكن مهما يكن ، فسيضطر إلى إصدار القرار الحاسم
 قبل نهاية هذا اليوم ، فإما الإقدام وإما التأجيل .

كانت تواجه أيزنهاور في تلك اللحظات مشكلة مرعبة . لقد قرر
 أطول يوم في التاريخ

يوم ١٧ مايو أن يكون الغزو في أحد أيام ثلاثة من يونية وهى الخامس أو السادس أو السابع ، وذلك لأن الأرصاد الجوية دلت على أن أمرين ضروريين للغزو ينتظر توافرهما في هذه الأيام الثلاثة ، وهما شروق القمر متأخراً ، وأن يكون هناك بعد الفجر بقليل جزر منخفض في شواطئ نورمندی . أما ضوء القمر فهو لازم من أجل جنود المظلات وجنود المشاة الذين تحملهم الطائرات الشراعية المنزلة ، وهم الجنود الذين سيبدءون عملية الهجوم المفاجئ وعددهم نحو ١٨,٠٠٠ . ولكن الهجوم المفاجئ يحتاج إلى ظلام دامس حتى موعد وصول الجنود إلى الأماكن التي يقصدونها ولهذا كانوا في حاجة إلى قمر متأخر الشروق . وما يزيد في تعقيد الأحوال في الحسابات الميتورولوجية ، أن الجنود الذين ستنقلهم السفن إلى البر في نفس اليوم يحتاجون إلى انخفاض مياه الجزر على الشواطئ ، وأن يتم نزولهم قبل دخول الظلام .

وهناك اعتبارات أخرى يجب توافرها . أولها أن الخدمات المختلفة تحتاج إلى ساعات طويلة من ضوء النهار وجودة الرؤية ووضوحها ، لكي يمكن تحديد الشواطئ ، ولكي تستطيع القوات البحرية والجوية رؤية الأهداف بوضوح . ولتجنب خطر التصادم ، في وقت تكون فيه خمسة آلاف من السفن تسير جنباً إلى جنب في خليج السين . وثانياً لابد أن يكون البحر هادئاً ، فإن البحر الهائج قد يحدث أضراراً جسيمة للأسطول ، كما أن دوار البحر يجعل الجند عاجزين عن القتال قبل

أن يضعوا أقدامهم على الشاطئ . وثالثا يحسن أن تكون هناك رياح منخفضة تهب نحو البر ، لكي يخلو الشاطئ من الدخان فتتضح الأهداف . وأخيراً يحتاج الحلفاء إلى ثلاثة أيام هادئة بعد يوم الغزو لتسهيل سرعة نقل الرجال والمعدات .

لم يكن أحد في القيادة العليا ينتظر أن تتوافر جميع الظروف الملائمة في يوم الغزو ، وكان أقلهم تفاؤلاً أيزنهاور نفسه . ومن بين الأيام الثلاثة التي يمكن فيها الغزو اختار أيزنهاور اليوم الخامس وذلك لأنه رأى أن تكون لديه فرصة التأجيل إلى اليوم السادس من يونية . ولو أنه أمر بالهجوم في اليوم السادس ثم اضطر إلى إلغاء العملية مرة أخرى فإن مشكلة إعادة التزويد بالوقود بالنسبة للقوافل العائدة قد تمنعه من الهجوم في اليوم السابع . وفي هذه الحالة يكون أمامه احتمالان ، فإما أن يؤجل الغزو إلى الفترة التالية التي يكون فيها المدو والحزر ملائمين وهي حوالي ١٩ يونية . ولكنه إذا فعل ذلك فإن القوات المنقولة بالجو ستضطر إلى القتال في الظلام ، لأن القمر لن يظهر في ١٩ يونية . أما الاحتمال الثاني فهو أن ينتظر إلى شهر يولية ، ولكن التأخير الطويل مرارته فوق التصور ، كما ذكر فيما بعد .

وفي مساء ذلك اليوم ، وقد أخذ ضوء النهار يتحول إلى ظلام ، كان القائد العام يخرج بين آن وآخر إلى باب العربة ، ويجيل طرفه في الأشجار التي تهزها الرياح ، وإلى السحب التي تغطي وجه السماء . وفي تلك

الليلة قبل الساعة التاسعة والنصف بقليل اجتمع كبار القواد وأركان الحرب في حجرة المكتبة وكان صوت المطر يدوي كأنه الطبل .

وفي تمام الساعة والنصف تماماً دخل أيزنهاور وافتتح المؤتمر ، ولم تكن هناك حاجة إلى مقدمات ، فكل فرد يعرف خطورة القرار الذي يجب إصداره . وفي نفس الوقت تقريباً دخل إلى الحجرة ثلاثة من خبراء الطقس يسبقهم رئيسهم الكابتن « ستاج » من القوة الجوية البريطانية الملكية . وسمع الحاضرون تقرير الخبراء عن حالة الطقس . هناك جبهة جوية جديدة تتحرك إلى القنال الإنجليزي ، وتساعد هذه الجبهة على صفاء تدريجي فوق مناطق الغزو . ويستمر التحسن في اليوم التالي وحتى صباح يوم ٦ يونية ، وبعد ذلك ينتظر أن يأخذ الطقس في العودة إلى الحالة السيئة ، وهكذا عرف أيزنهاور أن هناك فترة من الظروف المناخية التي تكاد تكون محتملة . ولو أنها أقل من الحد الأدنى للاحتياجات الملائمة . وطلب أيزنهاور أن يعلن كل واحد من قواده رأيه . قال جنرال سمث : لنبدأ الهجوم في اليوم السادس وستكون مغامرة ولكن لا مفر منها . وقال تيدر ومالوري قائدا الطيران إنهما يخشيان أن يكون الغطاء الكثيف من السحب شديداً بدرجة تمنع القوات الجوية من العمل بأقصى قوتها ولهذا فهما يخشيان عاقبة الهجوم الآن . أما متجومرى فقد تمسك بقراره الذي أعلنه في الليلة السابقة عندما تأجل الغزو قال : « أرى أن نقوم بالغزو » . أخذ أيزنهاور جميع الاحتمالات . كان هناك سكون طويل ، وفي

النهاية أعلن قراره في ترو وهو أن الغزو يكون يوم الثلاثاء ٦ يونية . وقال :
« إني موقن أن القرار يجب أن يصدر ، ولا أرى أمامي سبيلا غير ذلك » .
وعند ذلك خرج القواد مسرعين لكي يبدأ كل منهم في تنفيذ القرار .
وكانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة وخمس وأربعين دقيقة .

٧ - جنود الحلفاء

في الصباح أقيمت الصلاة لكل طائفة في المطار ، وشعر الجنود
وقوادهم شعوراً قوياً بأنهم يجب عليهم أن يعدوا أنفسهم بدنياً وروحياً .
وفي اليوم السابق للغزو تصرف بعض الجنود تصرفاً غريباً . ومن أمثلة
ذلك أن أحد الجنود الذين ستنقلهم الطائرات كان قد كسب في الميسر
مبلغاً كبيراً من المال . نظر الجندي إلى أوراق النقد التي جمعها ،
وخطر بباله أنه لو احتفظ بها فإنه لا بد مقتول . وعند ذلك قرر أن يعود إلى
اللعب ، ثم نظر في ساعته وقال : « كم من الوقت يلزمني لأخسر مبلغ
٢٥٠٠ دولار ! » .

وفي تلك الليلة فكر كل جندي في أسرته وزوجته وأطفاله وأحبائه .
وكان كل واحد يتحدث عن القتال الذي سيخوضون غماره ، وكيف
تكون حال الشواطئ ، وهل يكون النزول إلى البر من الخطورة بالدرجة
التي يتصورها الجميع . وكان بين الجنود كثير من الرجم بالغيب بشأن
من يعيش ومن يموت .

وفى جانب من الميناء قرب « بلا يموت » وقفت الناقله « أمستردام الجديدة » وفيها الملازم كرشنر من فرقة الرانچر الثانية ، وهو يقوم بمهمة فحص البريد القادم لفصيلته . وقد كان البريد فى تلك الليلة أكثر من العادة ، إذ يبدو أن جميع أفراد الفصيلة قد حرروا خطابات مطولة لأهليهم .

وكان المنتظر أن تكون الإصابات كثيرة . وقد قال بعضهم إنها ستكون قريبة من ٦٠ فى المائة ، إلا إذا تمكنت فرق إلقاء القنابل من الجو ومن البحر من القضاء على المدافع المنصوبة على الشواطىء .

وقد حرر كل واحد تقريباً خطاباً أثناء الساعات الطويلة التى قضوها فى انتظار الموعد المحدود . لقد ظل الجنود فى الانتظار مدة طويلة ، وكانت كتابة الخطابات تمنحهم راحة عاطفية . وكتب أحد الضباط من قسم المشاة إلى زوجته يقول : « إنى أحب هؤلاء الرجال ، إنهم يرقدون فى كل مكان على ظهر السفينة سواء فى أعلاها أو فى داخلها أو تحت العربات . وهم يلعبون الورق ويتصارعون ، ويقضون وقتهم فى مرح ولهو » . وكان الجنود الذين يعملون فى السفن البحرية الثقيلة وعلى الناقلات الضخمة وفى المطارات ومناطق الترحيل كانوا جميعاً أسعد الرجال حالا فقد كانوا فى أماكن جافة ودفينة . أما الجنود الذين حشروا على ظهر سفن النقل ذات القاع المنبسط المخصصة لإنزال الجنود ، وهى تقف مقيدة خارج الموانى ، فقد ظل بعضهم فوق هذه القوارب مدة تزيد على أسبوع ،

قضوها في بؤس يفوق التصور ، كانوا يكافحون الغثيان ودوار البحر ،
وكثيراً ما كانت الأمواج العالية تكتسح السفن من أحد الجانبين إلى
الجانب الآخر . وبعض السفن كانت مزدحمة بالجنود حتى إنها أوشكت
على الغرق . وقد وجد الجنود صعوبة كبيرة في البقاء في أسرهم وكثير
منهم لم تكن لهم أسرة ينامون عليها .

ولكن الجنود الذين تعذبوا أكثر من غيرهم ، كانوا رجال القوافل التي
صدرت إليها الأوامر بالعودة . لقد قضوا طول اليوم ، وهم يركبون البحر
في جو عاصف ، والآن تغمرهم المياه ، وقد نال منهم التعب وبدا عليهم
الهزال ، وهم يستندون إلى حواجز السفن ، عندما عادت آخر القوافل ،
وألقت مراسيها . وفي الساعة الحادية عشرة مساءً كانت السفن جميعها
قد عادت .

كانت الأوامر قد صدرت في الليلة السابقة بالتحرك . وخرجت القوافل
تعب القنال الإنجليزي . وقبل أن تصل القوافل إلى الشاطئ الفرنسي صدرت
إليها الأوامر بالعودة . وعند ذلك بدأت المهمة الشاقة وهي تغيير اتجاه
القوافل للعودة ، وذلك لأن القوافل يجب عليها أن تدور حول نفسها ،
وهي تحت سمع العدو وبصره ، ثم تعود إلى إنجلترا من الممرات المحددة
التي تطهرت من الألغام . وبعد أن عادت قوافل السفن إلى أماكنها عرف
الجنود حقيقة السبب الذي من أجله تأجلت العملية ، وبات عليهم
الآن أن يقفوا استعداداً للموعد الجديد .

وفي منتصف الليل قامت سفن حرس السواحل ومدمرات الأسطول بأداء عملها الهائل . وهو إعادة تجميع القوافل مرة أخرى . ولن يكون في هذه المرة رجوع .

وعلى مقربة من ساحل فرنسا ظهرت الغواصة الصغيرة س ٢٣ ، وكانت الساعة الواحدة صباحاً من يوم ٥ يونية . وأسرع الملازم « أونر » برفع الغطاء وصعد إلى برج الغواصة الصغير وتبعه بحار آخر ، وبعد ذلك أقاموا الأعمدة الهوائية (الإيريال) . وفي الأسفل سمع الملازم هودجز الرسالة المكونة من كلمة واحدة ، وهو لا يكاد يصدق أذنيه . وأعلن الخبر للآخرين . نظر كل منهم إلى الآخر في سكون ، فإن أمامهم يوماً كاملاً آخر يقضونه تحت سطح الماء .

٨ - نورمندى

في ضوء الصباح الباكر (٥ يونية) كانت شواطئ نورمندى مغلقة بغطاء من الضباب . وكان المطر الذي ظل يسقط طوال اليوم السابق قد تحول هذا الصباح إلى مطر منهمر بلا انقطاع . وفيما وراء الشاطئ كانت الحقول القديمة التي نشبت على أرضها في الماضي كثير من المعارك ، والتي ستجرى على أرضها معارك جديدة .

عاش أهل نورمندى أربع سنوات مع الألمان . وكان الاحتلال قاسياً بوجه خاص في المدن الكبيرة وهي الهافر وشربورج وكاين ، وهي

المدن التي اتخذها الجستابو مراكز لقيادتهم . وفيما وراء المدن وخاصة بين كاين وشربورج تقع حقول صغيرة تحدها أكوام من التراب فوقها أدغال كثيفة . وفي أنحاء الريف تنتشر مساكن من الخشب لها سقفوف من القرميد الأحمر أو من القش .

وهذا الريف قليل السكان وتختلف فيه أعمال السكان عنها في المدن الكبيرة . وقد بذل الفلاح نورمندى جهده لكي يتلاءم مع الموقف الحالى . وقد نقل الألمان آلافاً من الرجال والنساء للعمل في الاستحكامات . وظل سكان نورمندى يعيشون من يوم إلى يوم يبغضون الألمان بالحماس المشهور عن النورمان . وظلوا يترقبون بصبر يوم التحرير .

وقد استمر الجنود الألمان وفرق العمال المسخرين يحفرون الأنفاق على طول التلال المشرفة على الشواطئ . وكانوا ينشرون الأسلاك المدببة ويغرسون الآلاف من الألغام الفتاكة . وقد دمر الألمان بنحطة منظمة صفناً كاملاً من الأكواخ المنتشرة على طول الشاطئ لتسهيل مهمة المدفعية في إطلاق نيرانها . وعلى طول الساحل كان الناس يعيشون حياتهم العادية ، فالفلاحون يعملون في حقولهم ويهتمون ببساتين التفاح ويعنون بأبقارهم . وكانت الحوانيت في القرى والمدن الصغيرة مفتوحة ، ويسير كل فرد في حياته ، وكأنما هذا اليوم ما هو إلا يوم آخر من أيام الاحتلال . وكان الطقس رديئاً إلى درجة أنهم في باريس ، في مقر قيادة طائرات الحرب الألمانية ، في قصر لوكسبرج ، قرروا أنهم يمكنهم أن

يأخذوا يوم راحة ، لأنه من المشكوك فيه أن تستطيع طائرات الحلفاء العمل في مثل هذا الطقس . وكان الألمان في مقر القيادة يهتمون أعظم اهتمام بالتقارير الجوية . وقد قرر القائد العام فون روندشتدت أن يقوم برحلة للكشف على الاستحكامات الدفاعية على الشواطئ يوم الثلاثاء ٦ يونية .

وذهب فون روندشتدت إلى سريره متأخراً كعادته ، وهو لا يستيقظ عادة في الصباح قبل الساعة العاشرة والنصف . وعندما جلس إلى مكتبه كانت الساعة تقرب من الظهر ، تباحث مع رئيس أركان الحرب بلومنتريت وأعد التقرير النهائى عن تقدير نوايا الحلفاء الذى سيرسلونه إلى القيادة العليا لهتلر أثناء اليوم . وقد ورد فى التقرير ما يأتى : « إن الزيادة المنتظمة فى الهجمات الجوية تدل على أن العدو قد بلغ درجة عالية من الاستعداد . أما عن جبهة الغزو المنتظر فهى القطاع الممتد من نهر شلد فى هولندة إلى نورمندى . وليس من البعيد أن الجبهة الشمالية من بريتانى يمكن ضمها إلى هذه المنطقة . ومع ذلك فإنه لم يتضح فى أى جزء من هذه المنطقة سيكون الهجوم . وإن الغارات الجوية المركزة على الاستحكامات الساحلية بين دنكرك ودييب تشير إلى أن هجوم الحلفاء الرئيسى سيكون فى تلك المنطقة . ولكن ليس هناك ما يدل على أن الهجوم سيكون قريباً » .

وقد عمل الطقس الرديء المستمر عمل العقاقير المهدئة والمسكنة فى

مختلف القيادات الألمانية . ولهذا فإن جميع القيادات كانت على ثقة تامة بأنه لن يكون هجوم في الأيام المقبلة مباشرة . وقد أيقن الألمان أن الحلفاء لا يمكن أن يهجموا إلا إذا كانت الأحوال الجوية ملائمة تماماً؛ وذلك اعتماداً على خبرة الألمان بما كان من الحلفاء في شمال أفريقية وفي إيطاليا وصقلية .

وكانت سانت لو (على نهري في غربي نورمندی) مقراً لقيادة الفرقة الرابعة والثمانين ، وكان ضابط المخابرات السرية ، ماجور هاين ، يعد الترتيبات لإقامة حفلة مفاجئة للاحتفال بعيد ميلاد قائد الفيلق جنرال ماركس يوم ٦ يونية . وقد اختاروا هذا الوقت لحفلة عيد الميلاد المفاجئة لأن الجنرال سيرحل إلى مدينة رينز (في بريتانى جنوب سانت لو) عند شروق شمس الغد، وذلك للاشتراك في مناورات تدريبية كبيرة تبدأ صباح الثلاثاء ٦ يونية .

وقد سبب هذا التدريب كثيراً من القلق لرئيس أركان حرب الجيش السابع الماجور جنرال ماكس بيمسكل ، ومقر قيادته في ليمان (إلى الجنوب من نورمندی)، فقد رأى أنه من الخطأ أن يكون القواد الكبار في نورمندی وفي شبه جزيرة شربورج بعيدين عن مقر القيادة في وقت واحد . وإذ من الخطورة البالغة أن يتغيبوا أثناء الليل، وخاصة لأن رينز على بعد كبير بالنسبة لمعظمهم . ولهذا قرر رئيس الأركان أن يحذر جميع

الذين يشتركون في التدريب . وقد أرسل إلى القواد والضباط ينبّه عليهم الأيرحلوا إلى رينز قبل فجر يوم ٦ يونية . ولكن هذا التحذير كان متأخراً فقد كان بعضهم قد رحل فعلا .

٩ - المقاومة المصرية

وقد كان من الصدف الغربية أن كبار الضباط تركوا الجبهة قبل يوم ٦ يونية أى قبل الليلة السابقة للمعركة . فرومل ذهب في إجازة إلى ألمانيا ، وقبله ضابط العمليات الحربية ، فون تمبلهوف ، وكذلك الأميرال كرانك ، قائد البحرية في الميدان الغربي الذي أبلغ فون روند شتدت أن رداءة الجو تمنع سفن الحراسة الساحلية من الخروج من الموانئ ، ولهذا فإنه رحل إلى بوردو . ورحل بعض القواد إلى رينز ، وحصل بعض رؤساء الأركان على إجازة قصيرة .

وفي الأيام الأولى من يونية ، قررت القيادة العليا الألمانية أن تنقل الفرقة الجوية الباقية في فرنسا بعيداً عن شواطئ نورماندى . وكان السبب الأساسى أنهم يحتاجون إليها للدفاع عن ألمانيا نفسها . وقد ظلت هذه الفرقة أشهراً طويلة تتعرض لهجمات متزايدة من قاذفات القنابل . وفي تلك الظروف رأى الألمان أنه ليس من المعقول ترك هذه الطائرات على المطارات المكشوفة في فرنسا معرضة للتدمير .

ومن بين الملايين من الفرنسيين . الذين كانوا يراقبون وينتظرون في أنحاء فرنسا ، لم يكن هناك إلا عدد قليل من الرجال والنساء الذين يعرفون أن الغزو أصبح وشيكاً ، وكان هؤلاء أقل من اثني عشر ، وقد ساروا في عملهم في هدوء وسكون ، كما هي عاداتهم . وكان الهدوء والسكون مفروضاً عليهم باعتبارهم القادة لحركة المقاومة السرية الفرنسية . وكان معظمهم في باريس ، ومنها كانوا يسيطرون على منظمة واسعة متشعبة . بل إنها كانت في الواقع جيشاً له سلسلة كاملة من القيادات ، وله خلايا لاتحصى ، ولهم مكاتب تتناول أعمالاً متنوعة ، منها إنقاذ الطيارين الذين يهبطون بالمظلات . ومنها عمليات التخريب والتجسس والاعتقال . وكان لهم قواد للمناطق ولأقسام المناطق وللوحدات وآلاف من الرجال والنساء العاديين ، الذين يعتبرون مجندين للعمل . وقد ساعدت القيادات المتعددة على المحافظة على سرية هذا الجهاز الواسع . وقد روعيت السرية التامة ، حتى إن القواد ينذر أن يعرف الواحد منهم الآخر ، إلا بواسطة الاسم السرى . ولم يحدث أن عرف قسم من الأقسام العمل الذي يقوم به قسم آخر . وعلى الرغم من هذه الاحتياطات كلها ، فإن إجراءات الانتقام التي كان يتبعها الألمان أصبحت فظيعة إلى درجة أنه في مايو سنة ١٩٤٤ ، كان متوسط العمر المتوقع (بناء على احتمالات إحصائية) للمجاهد في المقاومة السرية إذا كان نشيطاً ، لا يزيد على ستة أشهر .

وقد ظل هذا الجيش السرى العظيم يحارب فى سكون أكثر من أربع سنين ، ولم تكن حرباً ظاهرة للعيان ، ولكنها كانت دائماً محفوفة بالأخطار . وقد أعدم آلاف ممن اشتركوا فيها ، وقضى آلاف آخرون فى معسكرات الاعتقال . وفى الأيام الأخيرة تلقى رجال المقاومة السرية مئات من الرسائل السرية ، ولكن لم ترد إشارة تنبئ عن قرب موعد الغزو ، إلا فى قليل من الرسائل . ومن بين هذه الرسائل كان السطر الأول من قصيدة للشاعر الفرنسى فيرلان : « أناشيد الحريف » وهذا السطر التقطه بعض رجال المخابرات السرية الألمانية يوم أول يونية .

والآن كان قادة المقاومة السرية ينتظرون بفارغ الصبر ، ليستمعوا إلى السطر الثانى من تلك القصيدة ، وإلى رسائل أخرى تؤكد المعلومات السابقة . ولم يكن منتظراً أن يذاع شىء من ذلك حتى آخر لحظة قبل اليوم الحقيقى للغزو . وكان على المقاومة بصفة عامة أن تنشط عندما يأمر الحلفاء بتنفيذ خطط التخريب التى كانت قد أعدت مقدماً . ومن هذه الرسائل : « الدنيا حر فى السويس » وهى تدعوهم إلى تنفيذ خطة تخريب السكك الحديدية ومعداتها . ومنها رسائل تقول : « الزهر على المنضدة » وهى تدعو إلى قطع أسلاك التليفون الهوائية والأرضية .

وفى اليوم السابق للغزو أذاعت محطة هيئة الإذاعة البريطانية أولى الرسائل فى الساعة السادسة والنصف مساءً وهى « الدنيا حر فى السويس »

وقد كررها المذيع . وكان أحد رؤساء مخابرات المقاومة السرية في قطاع ساحل نورمندی يجلس القرفصاء بجوار راديو مخبأ في مخزن حانوته ، الذى يبيع فيه الدراجات فى بايو (شمال غرب كايين) . وعندما سمع الرجل هذه الإذاعة دهش لهذه الكلمات التى تبشر بأن الغزو قريب . ثم مرت فترة سكون سمع بعدها الرسالة الثانية التى كانوا ينتظرونها . قال المذيع « الزهر فوق المنضدة » .

أسرع الرجل إلى زوجته وقال لها : « يجب أن أخرج وسأعود الليلة متأخراً . ثم أخرج دراجته السريعة التى يستعملها فى السباق . وكان الرجل بطلا فى سباق الدراجات فى نورمندی . وقد مثل منطقته فى عدة مرات سابقة فى السباق المشهور حول فرنسا . ولم يعترض الألمان طريقه لأنهم سبق أن منحوه تصريحاً خاصاً للتمرين . وكان لكل جماعة خطتها ، وهى تعرف بالطبع ما يجب عليها عمله . ومنهم ناظر محطة كايين ورجاله ، وكان عليهم إتلاف مضخات الماء وتخريب أجهزة البخار فى القطارات . ومنهم صاحب مقهى ، كانت مهمته تخريب وسائل المواصلات فى نورمندی ، وكانت فرقته مكونة من أربعين رجلاً ، وعليها أن تقطع أسلاك التليفون التى تغذى شبه جزيرة شربورج . ومنهم من كان عليه تفجير الديناميت فى شبكة الخطوط الحديدية بين شربورج وسانت مالو وباريس . وفى كل مكان على طول الشاطئ من بريتانى إلى حدود

بلجيكا ، يستعد رجال المقاومة ، وهم يأملون أن يكون الغزو في منطقتهم .

١٠ - الأرمادا

قبل الساعة التاسعة مساءً ظهرت أمام الشاطئ الفرنسي بعض السفن الصغيرة ، وكانت تتحرك بهدوء قرب الأفق . وهضت السفن دون أن يهتم بها أحد ، وكانت من كاسحات الألغام البريطانية التي تقدمت أعظم أسطول تجمع في مكان ما . وفي تلك اللحظة كان في القنال الإنجليزي مجموعة من السفن التي تتحرك وهي تمخر عباب البحر في أمواج عالية . وبلغ عرض الأسطول عشرة صفوف وفي الطول بلغ عشرين ميلاً ، وعدد سفنه خمسة آلاف . بعضها من سفن النقل السريعة المعدة للهجوم ، وبعضها من السفن البطيئة ، وبعضها من عابرات المحيط الصغيرة ، ومنها وحدات القتال وسفن المستشفيات وناقلات البترول ، وغيرها . وهذا الأسطول يضم مجموعة من القوارب الصغيرة ، وكان هناك عدد من السفن قليلة الغاطس ، وهي سفن ضخمة بطيئة الحركة ، وفي مقدمة هذه القوافل العظيمة ، كان هناك أسطول من كاسحات الألغام ، ومن سفن الحراسة الساحلية السريعة ، ومنها سفن تقوم بوضع العوامات لتحديد مسار السفن ، وحلقت فوق الأسطول

سدود من البالونات وأسراب من الطائرات المقاتلة ، وهي تطير تحت السحب . وهذا الخضم العجيب من السفن المشحونة بالرجال والمدافع والدبابات والسيارات إلخ كان يحيط به نطاق لا يقهر من أكثر من سبعمائة من السفن الحربية .

وكان بينها الطراد « أوجستا » الأمريكية وقد عقد لواؤها للأميرال كيرك الذى يقود قوة أمريكية تتكون من ٢١ قافلة متجهة نحو شواطئ الغزو فى منطقتى أوماها ويوتاه . وبقرها كانت البوارج الأخرى الأمريكية والإنجليزية والكندية ، وكذلك الطرادات الخفيفة ومنها أچاكس ، وهى واحدة من الطرادات الثلاث التى تعقت البارجة الألمانية « جراف سبي » فخر أسطول هتلر ، إلى خاتمة حياتها فى ميناء منتفديو . بعد موقعة نهر « پلات » فى أمريكا الجنوبية فى ديسمبر سنة ١٩٣٩ .

تحركت هذه الأرمادا العظيمة ببطء وحذر ، وهى تعبر القنال الإنجليزي وكانت تشق طريقها دقيقة بعد دقيقة ، فى خط لم يسبق للسفن أن اتخذته فعلا . وكانت السفن تخرج من الموانئ الإنجليزية وتتحرك بجذاء الشاطئ فى قافلتين ثم تتجمع فى منطقة التجمع جنوب جزيرة وايت فى جنوب إنجلترا . وهناك تتوزع السفن ، كل فى المكان المخصص لها . وقد أعد نظام دقيق ، حتى تنقل القوات المختلفة إلى الشواطئ المخصصة لكل منها وتتجه السفن من منطقة التجمع ، التى أطلق عليها اسم « بيكادلى سيركس » نحو فرنسا فى خمسة مسارات ، تميزها علامات ظاهرة ، وعندما تقرب

هذه الصفوف من شاطئ نورمندی ، تنقسم إلى عشرة مجار اثنان منها لكل شاطئ من الشواطئ الخمسة . وأحد المجارى للسفن السريعة والمجرى الآخر للسفن البطيئة . وفي المقدمة ، أى خلف رأس السهم الذى يتكون من كاسحات الألغام ومن البوارج والطرادات تأتي سفن القيادة ، وخمس من سفن الهجوم التى تنقل الجنود ، وقد امتلأ سطحها بهوائيات الرادار واللاسلكى . وكانت هذه المراكز القيادية العائمة هى المراكز العصبية للغزو . ولا يزال الرجال الذين كانوا على ظهر تلك السفن يذكرون المنظر الرائع لتلك الأرمادا التاريخية ، وهو منظر لا يمكن لمن رآه أن ينساه . لقد فرح الجنود لسيرهم نحو الحرب بعد طول الانتظار على الرغم من الأخطار التى يعرفون أنها تنتظرهم . وكانت الأعصاب متوترة ، ولكن بعض التوتر أخذ يزول شيئاً فشيئاً ، واتجهت الآمال إلى الانتهاء من هذه المهمة الشاقة بأسرع ما يمكن .

وقد رافق الحملة عدد من رجال الدين . ومنهم الكابتن « كون » الذى وجد نفسه فى سفينة مكتظة بالجنود ، وكان يؤدى الواجب الدينى لجميع الطوائف على اختلاف مذاهبها . وقد أدى الرجل هذه المهمة بسرور . وفى أول ساعات الليل أرسلت إحدى سفن النقل المسلحة إشارة مغزاها : « الصلاة مستمرة » .

وقضى معظم الرجال الساعات القليلة الأولى من الرحلة فى هدوء . وأظهر كثيرون ميلهم إلى الحديث عن أنفسهم ، وشرعوا يتكلمون

بصراحة في أمور شخصية . وفي تلك الليلة الغربية اقترب الرجال بعضهم إلى بعض ، وأفضوا بأسرارهم . اقترب أحد المجندين الجدد من أحد المخضرمين الذين خاضوا المعارك السابقة في شمال إفريقيا وفي صقلية وإيطاليا ، وقال له باهتمام ظاهر : « يا شاويش ، هل تعتقد صراحة ، أنه لدينا فرصة معقولة ؟ » وأجابه الجندي المحنك : « يا للجحيم ! يا بني لا ترهق نفسك خوفاً من الموت . إننا عندما نضع على أجسامنا هذا الرداء العسكري ، لا نهتم بالمعارك إلا عندما نخوضها . »

وحاول بعض الرجال قتل الوقت باللهو والمرح . ففي إحدى السفن شدوا حبالا سميكة من حبال الشراع وأخذوا يتسلقونها ، مما أثار الدهشة عند البحارة . وعلى ظهر سفينة أخرى أقام الجنود سهرة للهِواة ، وألقوا فيها قطعاً مختارة ، وكان هناك موسيقى ورقص وغناء . وقد تحمس أحد الجنود وهو أيرلندي . عندما سمع قطعة موسيقية أيرلندية ، ونسى الأيرلندي نفسه وقام ودعا لشرب نخب البطل دي فاليرا ، « لأنه جنبنا الحرب ! »

وقد ساد دوار البحر في جميع القوافل وكان عددها ٥٩ قافلة ، وعلى الرغم من أن كل جندي زود بكيس خاص كتب عليه « كيس القىء » ولكن هذه الأكياس لم تغن إلا قليلاً ، فقد امتلأت وامتلأت قبعاتهم المعدنية ، كما امتلأت الجرادل التي كانت مخصصة لإطفاء الحريق وأصبح سطح السفينة المصنوع من الصلب زلقاً ، لا يستطيع المرء أن

يقف فوقه . وفي كل مكان كنت تسمع الرجال وهم يقولون : « إذا كانوا سيقتلوننا فليخرجونا من هذه البراميل الملعونة » . وقد بلغت شدة الدوار ببعضهم أنهم هددوا بإلقاء أنفسهم في البحر .

وبسبب دوار البحر خسر آلاف الرجال أعظم أكلة يحتمل ألا يروا مثلها في حياتهم ، فإن إدارات الجيش كانت قد أعدت الترتيبات لإعطاء الجنود أحسن طعام ممكن . وقال بعضهم إن هذه الأكلة هي « العشاء الأخير » . وعلى الرغم مما كانوا فيه من الشقاء والخاوف فقد حاولوا أن يحصلوا على قليل من النوم . وقد التف أكثرهم بغطائه فوق ظهر السفينة ، وقد دعا أحدهم بهذا الدعاء قبل أن يستغرق في النوم : « اللهم إنك تعلم أنه من واجبي في هذا اليوم أن أكون في غاية الانهماك ، فإذا نسيتك يا إلهي فأني أتوسل إليك ألا تنساني » . وهو دعاء قاله سير « آستلي » عام ١٦٤٢ في معركة « إدجهيل » بإنجلترا .

* * *

كانت الساعة العاشرة والرابع مساء ، عندما أسرع الليفتنانت كولونيل هلموث ماير رئيس المخابرات الألمانية للجيش الخامس عشر يحمل في يده أهم رسالة التقطها الألمان طول الحرب العالمية الثانية ، وهي السطر الثاني من قصيدة فيرلان ، وهي موجهة إلى المقاومة السرية الفرنسية : « تجرح قلبي بهذا الملل وهذا الحمول » . وكان ماير يعلم أنها تعني أن الغزو سيبدأ خلال ٤٨ ساعة وفي الحال أخطر الرجل مقر قيادة جنرال فون رونند

شددت القائد العام لمنطقة الغرب . وهذه القيادة بدورها أخطرت القيادة العليا التابعة لـ هتلر : وفي نفس الوقت أذيع الخبر باللاسلكي إلى جميع القيادات الأخرى . ولأسباب لم يستطع أحد إيضاحها لم يصل الخبر إلى الجيش السابع بقيادة رومل .

وفي مختلف أنحاء إنجلترا ركب الجنود الطائرات العادية والطائرات الشراعية الزلافة . وقبل ذلك قامت الطائرات التي حملت الرجال الذين كانت مهمتهم فتح الطريق للآخرين ، وذلك بأن يضيئوا المناطق التي تقرر أن تنزل فيها الجنود الذين تحملهم الطائرات .

وفي مقر قيادة إحدى الفرق في بلدة نيوبري . وقف القائد الأعلى أيزنهاور مع جماعة صغيرة من أركان حربه وأربعة من مراسلي الصحف وهم يراقبون الطائرات الأولى وهي تستعد للطيران . وقضى أيزنهاور أكثر من ساعة وهو يتحدث مع الرجال وكان يشعر بقلق شديد بشأن عملية النقل الجوي أكثر مما يشعر نحو باقي مراحل الحملة . وكان بعضهم يؤكد أن الإصابات بين الجنود المنقولين جواً قد تصل إلى أكثر من ٨٠ في المائة .

وقف أيزنهاور يراقب الطائرات ، وهي تسير في طريقها على الأرض ، ثم ترتفع إلى الجو . وذهبت الطائرات واحدة بعد واحدة واختفت في الظلام . وقد دارت الطائرات دورة حول المطار ، قبل أن تنتظم تشكيلاتها نهائياً . وعندما انتهت الدورات واتجهت الطائرات نحو فرنسا ، لاحظ أحد مراسلي

الإذاعة أن أيزنهاور كان متأثراً ، حتى إن عينيه اغرورقتا بالدموع .
 وبعد ذلك سمع الرجال في سفن الأسطول زئير الطائرات . وقد ارتفع
 صوتها لحظة بعد أخرى . ومرت فوقهم موجة بعد موجة ، وقد استغرق
 مرورها وقتاً طويلاً ، وبعد قليل خفتت الأصوات ، ثم ظهرت إشارات
 الضوء ثلاث نقط وشرطة واحدة، وهي إشارات تعني حرف « V » أي
 النصر .

* * *

الجزء الثاني

في ظلام الليل

- ١ - جنود المظلات
- ٢ - الضابط الألماني - بلوسكات
- ٣ - بوق الصيد
- ٤ - قرية سانت مير إجليز
- ٥ - القيادة الألمانية
- ٦ - الطائرات الزلاقة
- ٧ - الغواصتان الحنفستان
- ٨ - هتلر نائم

١ - جنود المظلات

فى بلدة سنت مير إجليز (جنوب شبه جزيرة شربورج) أضواء القمر غرفة النوم لمدام ليقرو ، التى تبلغ من العمر ستين عاماً ، التى تعمل مدرسة فى مدرسة تلك البلدة . فتحت عينها ونظرت حولها فرأت على الجدار أضواء تلمع . عند ذلك غادرت سريرها وأسرعت إلى النافذة ورأت عن بعد أنواراً لامعة معلقة فى الجو . ورأت خطوطاً من النيران فأدركت أن شربورج التى تبعد ٢٧ ميلاً ، لا بد أنها تتعرض لغارة جوية عنيفة ، وأحست بالسرور لأنها باتت تلك الليلة فى هذا المكان الهادئ وهو القرية الصغيرة التى تعرف باسم « سنت مير إجليز » .

وبعد ذلك لبست حذاءها ورداء خارجياً وسارت إلى حديقتهـا... كان كل شىء هادئاً، ولكن أنوار المشاعل التى أطلقتها الطائرات ، جعلت الحديقة كأنها تسبح فى ضوء . سارت السيدة بضع خطوات ثم سمعت طائرة تقرب . وفجأة أخذت المدافع تطلق قذائفها على الطائرة . ودفعها الخوف إلى الاختفاء تحت إحدى الأشجار . جاءت بعد ذلك طائرات أخرى ، على ارتفاع قليل تتبعها طلقات المدافع ، كأنها الرعد . وبعد قليل سكنت المدافع وعاد السكون وكأنما لم يحدث شىء .

وفى ذلك الوقت سمعت صوتاً غريباً يأتى من مكان فوقها . ولما رفعت

رأسها شاهدت مظلة تهبط وتتجه مباشرة نحو الحديقة ، وقد تعلق بالمظلة جسم كبير يتأرجح في الهواء .

وفي لحظة اختفى ضوء القمر وهبط الجندى على بعد ٢٠ ياردة من السيدة . ثم انقلب رأساً على عقب حتى بلغ الحديقة . وبسرعة أخرج الجندى سكيناً وقطع الحبال التي تربطه بالمظلة وقبض على مخلاته الكبيرة .

وقفت السيدة في مكانها كالتمثال ، وبدا لها المنظر مرعباً . كان الجندى طويل القامة نحيف الجسم وقد دهن وجهه بدهان أسود . وبينما السيدة تنظر إليه في رعب ، وهي لاتستطيع أن تخطو من مكانها ، وضع الشبح النحيف إصبعه على فمه إشارة إلى وجوب الصمت ، وبسرعة اختفى . وبعد ذلك جمعت السيدة أطراف رداها وأسعدت كالمجنونة إلى بيتها . وكان ما رآته أحد الجنود الأوائل الذين نزلوا إلى نورمندی ، وكانت الساعة الثانية عشرة والرابع من صباح الثلاثاء ٦ يونية .

* * *

وفي طول المنطقة وعرضها نزل الرواد من طائراتهم ، وكانوا فئة صغيرة من المتطوعين الشجعان ، الذين أخذوا على عاتقهم إعداد المنطقة التي ستزل فيها قوافل الطائرات التي تنقل الجنود ، وهي منطقة تبلغ مساحتها ٥٠ ميلاً مربعاً خلف شواطئ نورمندی .

ونستطيع أن نتصور المصاعب الشاقة التي واجهت أولئك الرواد ،

فقد هبطوا إلى أماكن غريبة بالنسبة لمعظمهم . وقد كانت نيران المدافع المضادة كثيفة جداً ، مما اضطر الكثير من الطائرات التي تحمل الجنود إلى تغيير اتجاهها ، وبعضها ذهب مسافات بعيدة ، وأنزل رجالها في الحقول والمستنقعات وعند مجرى الأنهار . واصطدم بعض رجال المظلات بالأشجار والحواجز أو هبطوا فوق أسطح المنازل . وكان معظمهم من الجنود القدامى الذين لهم خبرة سابقة بالهبوط من الجو . ومع ذلك فقد ارتبكوا جداً عندما أرادوا معرفة أماكنهم ، رغم أنهم درسوا المنطقة على الخرائط الحربية منذ أشهر طويلة .

وفي أنحاء منطقة الهبوط ، كان الرواد - أمثال الجندي الذي هبط في حديقة السيدة الفرنسية في سنت مير إجليز - يتحركون في سكون وحذر من حاجز إلى حاجز ، وهم يحملون فوق أكتافهم أحمالاً ثقيلة ، من مدافع وألغام ومشاعل وأجهزة الرادار . وكانت لهم أماكن مخصصة لتجمعهم ، ولم يكن أمامهم إلا ساعة واحدة يحددون فيها منطقة الهبوط من أجل الهجوم الجوي الكبير الذي يبدأ عند الساعة الواحدة والربع صباحاً . وكان النصف الغربي من نورمندي مخصصاً للهجوم الأمريكي ، والنصف الشرقي للهجوم البريطاني ومعه بقية الحلفاء .

وفي الطرف الشرقي من نورمندي . كان الرواد البريطانيون يهبطون من ست طائرات محملة بالجنود ، ومعها ست من قاذفات القنابل ، وكانت تسحب خلفها الطائرات الشراعية الزلافة . وفي أثناء ذلك امتلأ

الجو بعاصفة من نيران المدافع المضادة . وكانت الزلاقات الست تحمل كل منها ما يقرب من ثلاثين رجلا ، وبمجرد أن عبرت هذه الطائرات البحر ، انفصلت عن الطائرات التي كانت تسحبها على ارتفاع يبلغ ٥٠٠٠ قدم ، وبعد ذلك اتجهت الطائرات الشراعية نحو مجريين من الماء يلمعان في ضوء القمر ، وهما قناة كاين ونهر أورن . وكان فوقهما جسران لهما أهمية كبيرة . ولهذا كان الجسران من الأهداف التي يريد البريطانيون الاستيلاء عليها ، والقضاء على حراسهما الألمان . ويقع هذان الجسران على الطريق الذي يوصل بين كاين والبحر ، والطريق الذي يمتد من نورمندی من الغرب إلى الشرق . وكان البريطانيون يأملون الاستيلاء على الجسرين سليمين ، قبل أن يستطيع الحرس الألماني تدميرهما .

اتجهت ثلاث من الطائرات الشراعية نحو جسر كاين ، ثم هبطت هبوطاً اضطرارياً . ووقف ماجور هوارد في إحدى الطائرات عند باب الطائرة استعداداً لفتحه بمجرد أن تلمس الطائرة الأرض . وعند ذلك حدث اصطدام عنيف هشم الجزء الأسفل من الطائرة وانتشرت الشظايا على الجنود ، وأخذ هيكل الطائرة يميل يمينا وشمالا ، ثم مزقت الطائرة الأرض وانتشر فيها رذاذ من الشرر ، ثم انقلبت على جانبها وانكسر مقدمها ، واندفعت في الأسلاك الشائكة بحيث أوشكت أن تهبط فوق الجسر تماماً .

خرج الجنود وهم يتدافعون لينفذوا من الباب ومن الفتحات الأخرى .
 وفي نفس الوقت وعلى بعد قليل هبطت الطائرتان الأخريان ، وخرج
 منهما بقية فرقة الهجوم . وهجم الجميع على الجسر ، واستولى الارتباك
 والدعر على الألمان ، وقفز جنودهم من مخابهم ، وكان بعضهم نائماً أمام
 المدافع . وعندما تنهوا أخذوا أسلحتهم وجعلوا يطلقون النيران بغير
 حساب على الأشباح التي ظهرت أمامهم .

وبينما كانت فرق الهجوم تقضى على المقاومة على الجانب القريب
 من الجسر ، كان جماعة آخرون يهجمون على الجانب الآخر من
 الجسر . وفي منتصف الجسر رأوا جندياً ألمانياً وفي يده مسدس « فيرى »
 يستعد ليطلق منه إنذاراً بالضوء . وكان هذا آخر عمل قام به ذلك
 الجندي الشجاع ، فقد سقط صريعاً في الوقت الذي صعدت فيه الشعلة
 المضئية فوق الجسر بشكل دائري .

وكان المقصود بالإنذار الألمان الموجودين على الجسر الآخر فوق
 نهر أورن وهو على بعد مئات من الأمتار . وقد جاء الإنذار متأخراً ،
 لأن الحرس الألماني كان قد استسلم للقوة التي هاجمته ، ولم يهبط عند ذلك
 الجسر إلا طائرتان ، أما الثالثة فإنها هبطت على بعد سبعة أميال عند
 جسر آخر . وقد ذهل الألمان لهذا الهجوم المفاجئ . ومن سخرية الأقدار أن
 الحرس الألماني لم يكن في إمكانهم تدمير الجسرين ، حتى ولو كان
 لديهم متسع من الوقت وذلك لأن جميع معدات تدمير الجسرين كانت

جهازه ، ولكن المفرقات لم توضع في أماكنها ، وقد وجدت موضوعة في كوخ قريب .

وكانت هناك أيضاً فرق بريطانية تستعد للهبوط في ثلاث مناطق غربي نهر أورن ، وكان عليهم أن يحددوا تلك المناطق باستخدام المشاعل وإشارات الرادار والأجهزة الأخرى . وتقع هذه المناطق على مقربة من ثلاث قرى صغيرة : قاراغيل وتبعد عن الشاطئ أقل من ثلاثة أميال ، ورائقيل^(١) وتقع على مقربة من الجسرين ، وتوفراقيل وتبعد خمسة أميال عن الحدود الشرقية لمدينة كاين . وكان الوقت الذي أعطى للرواد البريطانيين لتنفيذ مهمتهم لا يزيد على ثلاثين دقيقة .

وقد هبط الجنود الذين كانت وجهتهم قاراغيل في المكان الصحيح ، ولكنهم وجدوا أن معظم معداتهم قد تهشمت عند الهبوط ، وبعضها سقط في أماكن بعيدة . أما جنود رائقيل فلم يهبطوا في الموقع الصحيح ، بل تفرقوا أميالا بعيدة . وأما فرق توفراقيل فكانت حالهم أكثر سوءاً فقد هبط بعضهم في منطقة رائقيل وبعضهم دفعته الرياح إلى المناطق التي غمرتها مياه الفيضان ، ولم يعثر لهم على أثر .

وقد حاول الرواد التعرف على مناطقهم . ونجح بعضهم ، ولكن البض الآخر ضل الطريق . سقط اثنان منهم أمام قيادة قوة ألمانية .

(١) تقع رائقيل شمال كاين وغربي نهر أورن .

وكان القائد الألماني يلعب الورق ، عندما سمع أزيز الطائرات .
 وأسرع هو والآخرون إلى الشرفة ، وهناك رأوا الجنديين البريطانيين فوق
 أرض عشبية . وعندما قبضوا عليهما ونزعوا سلاحهما أخذوهما إلى الشرفة ،
 وصرخ فيهما الضابط الألماني : « من أين جئتما ؟ » وقد رد عليه أحد
 الجنديين بهدوء : « آسف أشد الأسف أيها الزميل . لقد هبطنا في هذا
 المكان بمحض الصدفة ! »

وفي اللحظة التي ساقوهما فيها لكي يستجوبوهما، كانت هناك قوة من
 ٥٧٠ جندياً من جنود المظلات الأمريكيين والبريطانيين وهي أول مجموعة
 من جيش التحرير - تعد العدة لحوض معركة يوم الغزو . وفي تلك الليلة
 الظلماء بدأت الأنوار الساطعة ترسل أشعتها فوق مناطق الهبوط .

٢ - الضابط الألماني بلوسكات

صرخ الميجور « فيرنر بلوسكات » في التليفون : « ما الخبر ؟ »
 أفاق الرجل على صوت الطائرات والمدافع ، وكان لا يزال بملابسه الداخلية .
 وقد أدرك أن الأمر لا بد أن يكون أكثر من مجرد غارة عادية . استمر الضابط
 قلقاً لا يستطيع النوم ، ولهذا جلس أمام كوخه ، وبجواره كابه الألماني
 يرقد في هدوء . واستمر الضابط يستمع إلى أزيز الطائرات البعيدة .
 وفجأة دق جرس التليفون وأسرع إليه ، وعند ذلك سمع صوتاً هادئاً من

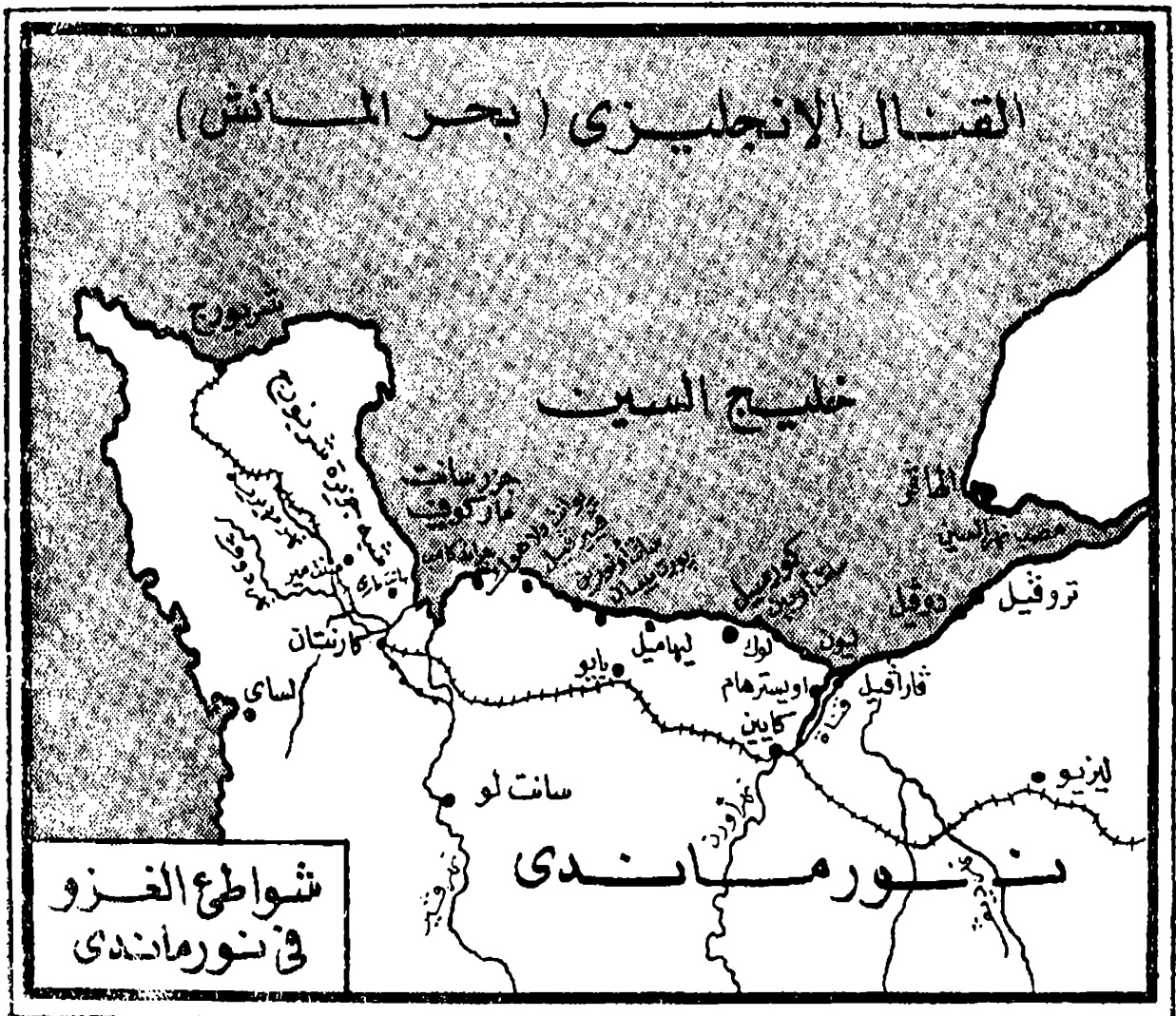
البكباشى « أوكر » يقول : « وصلتنا أخبار عن هبوط جنود المظلات فى شربورج . أيقظ جميع رجالك وانزل إلى الشاطئ حالا ، لأن هذا قد يكون الغزو » .

خرج الضابط ومعه قائد البطارية وبقيّة ضباط المدفعية إلى مقر القيادة الأمامى ، وهو بناء قائم فوق الصخور قرب قرية سنت أونورين . ووصلوا إلى الشاطئ فى سكون وكان أكثر ما يقلقهم أن المدفعية ليس لديها من الذخيرة أكثر مما يكفى ٢٤ ساعة . وقبل ذلك بأيام قليلة كان الجنرال ماركس قد زار المدفعية وأكد لهم أنه عندما يجيء الغزو سيكون لديهم من الذخيرة أكثر مما يحتاجون .

وقف الضابط الألمانى أمام التلسكوبات القوية الخاصة بالمدفعية ، وكانت فى موقع متوسط تقريبا بالنسبة للمنطقة التى ستكون أهم جسر للهبوط فى نورمندى . وفى ذلك الوقت رأى الضابط فى ضوء القمر منظراً رائعاً وأخذ يحرك المنظار ببطء يمينا ويساراً . وهو يتفحص الشاطئ . كان هناك بعض الضباب وبعض السحب التى تحجب ضوء القمر ، وترسل ظلالاً قائمة فوق البحر . ولكنه لم ير شيئاً جديداً . ولم تكن هناك أنوار ولا أصوات ، واستمر يجيل النظر مرة بعد مرة ، ولكن ظل البحر خالياً تماماً من السفن .

وفى ذلك الوقت بدأت ترد إلى مقر قيادات الجيش السابع فى جميع أنحاء نورمندى تقارير متناقضة غامضة . وحاول الضباط تفسير هذه

التقارير وتقويتها دون أن يكون لديهم شيء مادي يعتمدون عليه سوى بعض الأشباح التي شاهدها في الظلام ، وبعض الطلقات التي سمعوها ، وبعض المظلات التي عثروا عليها معلقة في بعض الأشجار .



ومن المصادفات الغربية التي حدثت في « سنت لو » مقر قيادة الفيلق الرابع والثمانين من الجيش الألماني ، أن الضباط كانوا يستعدون للاحتفال بعيد ميلاد الجنرال ماركس . وعندما دقت أجراس الكاتدرائية معلنة الثانية عشرة في منتصف الليل ، تقدمت مجموعة صغيرة من الضباط يتقدمهم ضابط فرقة المخبرات وهم يحملون صينية عليها بضع

زجاجات ، وبعد فترة سكون رفع الجنرال رأسه ، ونظر بهدوء إلى الضباط ثم وقف بصعوبة وهو يعتمد على ساقه الصناعية ، ليرد لهم التحية. ثم قدم أركان حرب التحية الرسمية، ورفعوا الكؤوس ثم شربوا فخب قائدهم . ومن حسن حظهم أنهم لم يعلموا أنه في تلك اللحظة وعلى بعد أربعين ميلاً منهم كان هناك ٤٢٥٥ جندياً بريطانياً من جنود المظلات يهبطون على الأرض الفرنسية .

٣ - بوق الصيد

في تلك الليلة كان يسمع في حقول نورمندي أصوات جشاء ، وكأنها صادرة عن أشباح الليل ، تخرج من بوق صيد إنجليزي ، واستمر البوق يرسل صوته مرة بعد مرة ، وظلت عشرات الأشباح ذات القبعات الحديدية تتحرك -ساملة أكياساً ثقيلة مليئة بالمعدات وهي تحترق الحقول وتعبر الحفر والحواجز في اتجاه صوت البوق، وفجأة سمعوا صوت البوق الكبير يرسل نداءه وكان معنى ذلك بالنسبة إلى مئات الرجال من الفرقة السادسة البريطانية المحمولة جواً أن ذلك النذير هو افتتاح المعركة .

وقد جاء النداء الغريب من منطقة رانجيل ، وكان موجهاً إلى كتبتين من لواء المظلات الخامس لكي تتحركا بسرعة. وكان على إحداهما أن تسرع لمساعدة المايجور هوارد الذي يقف على الجسرين . وأما الأخرى فعليها أطول يوم في التاريخ

أن تستولى على قرية رانجيل في المشارف الشرقية لهذا التقاطع الحيوى. ولم يسبق أن استعمل القواد هذه الوسيلة لجمع الرجال. لقد كانت قوة الرواد تسابق الزمن ، لأن أول موجات جيش الغزو ستصل إلى شواطئ نورمندى الخمسة بين الساعة السادسة والنصف والساعة السابعة والنصف صباحاً. وكان على « الشياطين الحمر » أن ينفذوا الخطة في خمس ساعات ونصف ، بأن يستولوا على رأس الجسر وأن يتشبثوا بالجنح الأيسر لمنطقة الغزو كلها .

ولكن رجال المظلات لم يكن معهم إلا الأسلحة الخفيفة ، ولهذا لم يكن لديهم قوة كافية لوقف هجوم مركز للمدفعات ، ولهذا كان النجاح في العمليات الحربية يتوقف على السرعة ، ونظراً لضخامة المدافع المضادة للدبابات فلم تكن هناك طريقة لنقلها وتوصيلها إلى نورمندى إلا طريقة قوافل الطائرات الشراعية الزلاقة، وهى طائرات بغير محركات . وفى الساعة الثالثة صباحاً خرج أسطول مكون من ٦٩ طائرة شراعية تحمل الرجال والسيارات والدبابات والمعدات الثقيلة والمدافع .

وكان استخدام هذه الزلاقات مهمة جبارة ، فهى ضخمة الحجم . ومنها أربع كانت من الضخامة بحيث يمكنها أن تحمل الدبابات الخفيفة . ولكى يمكن هبوط هذه الطائرات فى نورمندى بسلام ، كان على جنود المظلات أن تستولى أولاً على مناطق للهبوط ، وتحول دون هجوم العدو عليها . ويلى ذلك فى الأهمية إعداد مهبط شاسع من الأرض العشبية،

على الرغم مما بها من الحواجز الكثيرة . وهذا يقتضى تطهير المنطقة من الألغام التي تملؤها ، وإزالة ما هناك من قضبان حديدية ، ويجب عمل ذلك في جناح الظلام في مدة ساعتين ونصف فقط .

وكانت على أولئك الجنود مهمة خاصة ، أكثر أهمية من كل ما سلف ، وربما كانت أكثر مهام الفرقة السادسة المحمولة جواً أهمية ، وهي تدمير بطارية مدافع السواحل التي تقع عند بلدة ميرفيل . وكانت المحابرات قد عرفت أن هناك بطارية تضم أربعة مدافع ضخمة تستطيع تعطيل أسطول الغزو ، وربما إفناء الجنود أثناء نزولهم إلى الشاطئ . وكان على الفرقة السادسة تدمير هذه المدافع قبل الساعة الخامسة صباحاً .

ولإتمام هذه العمليات هبط على نورمندی جنود المظلات من اللوامين الثالث والخامس كان عددهم ٤,٢٥٥ مظلياً وقد نزلوا فوق مساحة واسعة تهددهم أخطار كثيرة ، وظلوا يجاهدون للوصول إلى مكان التجمع مسترشدين بأصوات البوق .

وفي اللحظات الأولى من المعركة ، كانت براعة المرء في التصرف هي مقياس البقاء على قيد الحياة . ومن ذلك ما حدث للجندي « رايموندباتي » الذي سقط فوق سطح أجمة كثيفة ، وبقى معلقاً في إحدى الأشجار على ارتفاع ١٥ قدماً . وعندما أخرج سكيناً يخلص بها نفسه سمع صوت مقذوف نارى على مقربة منه ، وبعد قليل أحسّ بحركة تتجه نحوه ببطء . وكان قد فقد مدفعه ومسدسه ، ولهذا ظل معلقاً

لا يقدر على شيء ، وهو لا يدري إن كان القادم عدوًّا أم صديقاً. ويدكر الجندى أن القادم رفع رأسه نحوه ، وكل ما عمله الجندى أن توقف عن كل حركة تماماً . ولعل الرجل ظن أنه فارق الحياة ولهذا تركه وسار في طريقه . واستطاع الجندى بعد ذلك تخلص نفسه والهبوط بسرعة . وبينما كان يتجه صوب صوت البوق رأى جندياً يندفع أمامه وهو يصرخ في جنون « قتلوا رفيقي ! » وعندما وصل الجندى إلى مكان التجمع ، وجد بجواره رجلاً يبدو عليه أنه أصيب بصدمة شديدة . وقد ظل ذلك الرجل يسير دون أن يلتفت يميناً أو يساراً ، وقد غاب عن وعية تماماً . وكان يقبض على بندقيته ، وقد انثنت حتى كاد طرفاها أن يتلاقيا !

ورأى جندي آخر طائرة اشتعلت فيها النيران . وكان الاشتعال شديداً حتى إن أجزاءها كانت تتطاير في كل مكان . وبدا للجندى أن الطائرة تتجه نحوه ، ووقف في مكانه لا يستطيع حراكاً . وقد مرت الطائرة فوق رأسه ثم اصطدمت بالأرض وقد حاول هو وغيره أن يصلوا إلى الطائرة لعلهم ينقلدوا أحداً من رجالها ، ولكن ذخيرتها أخذت تنفجر ، ولم يستطع أحد الاقتراب منها .

وهبط جندي في الأسلاك الشائكة وانحشر فيها بحيث أصبح لا يستطيع تحريك ساقيه ، وقد كان ثقل المهمات التي يحملها عائقاً له عن تخلص نفسه من الأسلاك الشائكة . وقد ظل مكانه لحظات ساكناً ، وعندما تأكد أن أحداً لم يره ، شرع في تخلص نفسه ، وأخيراً خلدص أحد ذراعيه ،

وأخرج مقص الأسلاك الشائكة الذى يحمله فى مؤخرة حزامه ، وبعد دقائق ، كان قد قطع الأسلاك ، وشرع يسير نحو صوت الأبواق .

* * *

وقد كانت الاستحكامات التى أعدها رومل ضد جنود المظلات ذات أثر فعال . فقد كانت المياه التى غمرت وادى « ديف » - كما كانت المستنقعات - مصائد فتاكة . وكثير من رجال الفرقة الثالثة هبطوا فى هذه المياه كما تسقط أوراق الأشجار . ولن يعرف عدد الجنود الذين فقدوا أرواحهم فى هذه المستنقعات . ومن نجا منهم وصفوا تلك المستنقعات بأنها مجموعة معقدة من الخنادق عمقها سبع أقدام وعرضها أربع ، وفى قاعها طين لزج . وإذا هبط فيها رجل يحمل مدفعاً وذخيرة ومهمات ثقيلة ، فلن يستطيع الخروج منها . وكان الرجال الذين يسقطون فيها يبادرون بإلقاء ما يحملون مما يثقل كاهلهم .

ومن نجا بأعجوبة جندى من فرقة الإسعاف هبط فى تلك المستنقعات التى وصل مأوها إلى وسطه . وأخذ الرجل يتعثر فى الأرض المغمورة بالماء حتى وصل إلى نهر « ديف » . وبينما كان يحاول أن يجد وسيلة لعبور النهر رأى فى الجانب الآخر رجلين من قوات الجيش الكندى . عند ذلك ناداهما الجندى قائلاً : « كيف يمكنى العبور إلى الجانب الآخر ؟ » ورد عليه أحد الرجلين : « هذا أمر ليس بذى خطر » . ثم خاض الكندى فى النهر لكى يثبت صحة قوله ، وفى اللحظة التالية اختفى الرجل تماماً .

ويحكى الجندى ما حدث قائلاً : « إنه لم يصرخ ولم يفعل شيئاً سوى أنه غرق قبل أن أستطيع أنا أو رفيقه على الشاطئ الآخر أن نمد يداً لمساعدته » .

وفي تلك اللحظة كان قائد الكتيبة التاسعة وهو الكولونيل «أوتواى» يتميز غيظاً ، لأنه هبط على بعد أميال من المكان المحدد له . وبينما كان يسرع الخطى رأى مجموعات صغيرة من رجاله يجيئون من جهات مختلفة ، وهم يؤكدون أسوأ مخاوفه . وظل قلقاً خشية أن تكون طائرة نقل المعدات قد تبعثت هي أيضاً فى كل مكان ، وكان فى حاجة ماسة إلى المدافع التى تحملها الطائرة الشراعية لكى ينفذ خطة الهجوم على استحكامات ميرفيل ، التى تحتوى على أربعة مدافع ثقيلة مركبة فوق أساس ضخمة من الإسمنت المسلح . وتحيط بها أسوار من الأسلاك الشائكة ، يصل سمكها إلى خمسة عشر قدماً ، ومنطقة من الألغام ثم خنادق مملوءة بالمدافع الرشاشة ، وهى تحصينات تكاد تكون كاملة المناعة .

وكان أوتواى قد وضع خطة معقدة للاستيلاء عليها . وقد أعد لكل طارئٍ عدته ، فتقوم مائة من الطائرات قاذفات القنابل أولاً بقصف التحصينات بعدد كبير من القنابل التى يبلغ وزنها ٤٠٠٠ رطل . ثم تمده قافلة الزلاقات الجوية بالسيارات الجيب والمدافع المضادة للدبابات وقاذفات اللهب وبسلاح خاص لتدمير الأسلاك الشائكة وهو مجموعة من الأنابيب المملوءة بالمفرقات ، ثم كاشفات الألغام ، ومدافع

المؤرتار ، وسلام من الألومنيوم الخفيف ، وبعد أن يجمع رجاله هذه المعدات وغيرها يشرعون في وحدات كل منها مكونة من أحد عشر رجلاً بالهجوم على استحكامات ميرفيل .

وكان هذا العمل يقتضى تنسيقاً زمنياً دقيقاً ، وذلك أن تقوم وحدات كشف الألغام بتطهير المنطقة وتحديد المنطقة التي يتم تطهيرها ، وتقوم جماعات الطوربيد بتدمير الأسلاك الشائكة ، وعلى القناصة ورجال مدافع الهاون والمدافع الرشاشة أن يحتلوا أماكنهم لتغطية الهجوم الرئيسي . وكانت بعض أجزاء هذه الخطة أشبه بالأعمال الانتحارية ؛ ولكن الخطر يقتضى ذلك ، فإن مدافع ميرفيل تستطيع القضاء على الألوف من الجنود البريطانيين وغيرهم ، قبل أن يصلوا إلى البر .

ولكن إذا تم كل شيء حسب الخطة الموضوعية يكون أمام أوتواى ساعة واحدة لتدمير تلك المدافع . وعلى الرجال أن يبتعدوا عن المكان ، مهما يكن ما أنجزوه من العمل ، قبل الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، ففي ذلك الوقت ، إذا لم تصدر من أوتواى إشارة النجاح فإن الأسطول يبدأ في إطلاق القنابل على تلك الاستحكامات .

وبينا كان أوتواى يسرع نحو مكان التجمع ، كان القسم الأول من الخطة قد فشل ، وذلك لأن الهجوم الجوى الذى بدأ فى الساعة الثانية عشرة ونصف ليلاً عجز عن أن يصيب مركز المدفعية فى ميرفيل بقنبلة

واحدة . ومما زاد الأمر سوءاً أن الزلاقات التي تحمل المعدات التي لا بد منها لتنفيذ الخطة ، لم تصل .

٤ - قرية سنت مير إجليز

تلك هي القرية التي هبط فيها رجل المظلات في حديقة السيدة العجوز وكان عمدة القرية « ألكسندر رينو » هو صاحب الصيدلية الوحيدة فيها . وفي الساعة الواحدة والرابع صباحاً عرف العمدة بأمر الهجوم الجوي ، وخرج إلى الميدان الذي يقع في وسط القرية والذي تقع فيه الكنيسة . رأى العمدة النار تشتعل في فيلا تقع على الجانب الآخر من الميدان ، وقد أصابها شعلة ملتهبة وقعت من إحدى الطائرات . عند ذلك جرى العمدة إلى مقر القيادة الألمانية القريب وطلب منه التصريح بخروج السكان لتقديم يد المساعدة في إطفاء الحريق بالجرادل .

ومضى وقت قبل أن يبدأ الناس - الذين هرعوا إلى الميدان - العمل في إطفاء الحريق ، واصطف حولهم نحو ثلاثين من الحرس الألماني . غير أن الحريق انتشر وامتد الشرر إلى المباني المجاورة . وفي الوقت نفسه مرت الطائرات فوق القرية وارتفع صوت المدافع المضادة ، وجاءت موجة بعد موجة من تشكيلات الطائرات ، وكانت أول دفعة من عملية نقل الجنود التي لم يسبق لها مثيل . وكانت الطائرات تتجه نحو ست مناطق للهبوط ،

وكلها على بعد قليل من القرية .

ولسوء الحظ ساقط الريح الشديدة عدداً من جنود المظلات نحو الحريق ونحو مدافع الألمان التي هرعت إلى ميدان القرية . وقال أحد ضباط تلك المجموعة التي مرت فوق تلك القرية : « كنا على ارتفاع ٤٠٠ قدم وكنت أرى النار تلتهب ، وبدا كأن القوضى صاربة أطناها على الأرض ، كما لو كانت أبواب جهنم قد فتحت ، وانطلقت نيران المدافع والبنادق . وأولئك الجنود المساكين يقعون وسط هذا الجحيم » . وقد ذهب عدد من جنود المظلات ضحية بسبب انفجار الذخيرة التي يحملونها عندما ساقهم الرياح إلى تلك النيران المشتعلة .

وفي وسط تلك الفظائع ظفر رجل منهم بالحياة رغم أنه بلغ إلى حافة الموت . وهو جندي حملته الريح إلى برج الكنيسة المدبب . ولما بلغه تعلق به ، وبقي في مكانه عاجزاً عن الحركة . وكان الرصاص يمر بجواره فيرى اللمعان الأحمر الذي يشع منه . وقد حاول الرجل أن يقطع الحبال التي تعلقه في المظلة ، ولكن السكين سقطت من يده . ولهذا قرر أن يتظاهر بالموت . وكان جنود الألمان فوق سقف الكنيسة يطلقون النار من كل جانب ولكنهم لم يطلقوا النار عليه . وقد نجح في تمثيل الموت ، حتى إن الملازم الأمريكي يونج (من الفوج ٨٢) مر بهذا المكان في أشد أوقات القتال ، وأشار إلى « الرجل الميت المعلق في برج الكنيسة » وبقي الجندي على هذه الحال أكثر من ساعتين ، ثم أنزله الألمان وأخذوه أسيراً . وقد تهشمت

قدمه بشدة وكان الألم فظيماً ، حتى إنه لم يسمع أجراس الكنيسة التي كانت تدق على بعد قليل منه .

* * *

ولكن ما حدث في «سنت مير إجليز» لم يكن سوى مقدمة للهجوم الرئيسي في منطقة هبوط القوات الأمريكية ، التي كان عليها أن تستولى على الجناح الأيمن من منطقة الغزو وهو الجانب الذي يقل في شبه جزيرة شربورج . وكانت العقبة الرئيسية في نجاح تلك العملية هو منطقة مستنقعات يخرقها نهر دوف . وقد برع المهندسون الألمان في الانتفاع بهذا النهر ورافده الرئيسي مرديريه . ويجرى هذا النهر في الجنوب من شبه جزيرة شربورج في أرض منخفضة ثم يتصل بقناة كارنتان في قاعدة شبه الجزيرة ويصب في القنال الإنجليزي .

وقد استطاع الألمان باستخدام الأهوسة أن يغمروا مساحة كبيرة من شبه الجزيرة ، وبذلك يعزلونها تماماً عن باقي نورماندى . وكانت خطتهم أن يسيطروا على الطرق القليلة والجسور التي تخرق تلك المستنقعات ، وبذلك يحصرون الغزاة عند نزولهم ثم يقضون عليهم ، أما إذا نزلت القوات على الشاطئ الشرقى من شبه الجزيرة فتستطيع القوات الألمانية أن تغلق عليهم الممرات من الشمال والغرب ، وبذلك تقع القوات في المصيدة .

وللدفاع عن شبه الجزيرة كان هناك ثلاث فرق من الجيش الألماني : إحداها للشمال والشرق ، والثانية للجزء الغربى والثالثة للجزء الأوسط

وتتبعه قاعدة شبه الجزيرة . وعلاوة على ذلك كانت هناك قوة ألمانية من أقوى الوحدات في نورمندي ، وكان مقرها جنوب بلدة كارنتان . وتلك القوة هي فوج المظلات الألمانية السادس ، كما كانت هناك قوة مدفعية مضادة للغارات الجوية ووحدات ساحلية تتكون من القائمين على بطاريات مدفعية الشواطئ . ولهذا كان في إمكان الألمان أن يلقوا إلى ميدان شربورج في أقرب وقت ممكن بنحو أربعين ألفاً من الجنود لصد أي هجوم مهما تكن شدته .

وفي هذه المنطقة كان على قائدين من القواد الأمريكيين وهما ماكسويل تيلور وماثيو ريدجواي مهمة الاستيلاء على رأس الجسر والدفاع عنه ، وأن يفتحوا الطريق للفرقة الرابعة من الجيش الأمريكي ، وأن يصمدوا حتى تأتيهم النجدة ، وعليهم إنجاز ذلك في مدة تقل عن خمس ساعات . وكان على رجال الوحدات التي وصلت بطريق الجو أن يطهروا منطقة نزول طائرات الانزلاق ، إذ أن قوافل هذه الطائرات ستأتي قبل الفجر ، ومرة أخرى في المساء . وكان مقرراً أن يصل في الساعة الرابعة صباحاً أكثر من مائة من هذه الطائرات الزلافة .

وكان طريق الطائرات يمتد من الغرب إلى الشرق عبر شبه الجزيرة ، ويستغرق عبور شبه الجزيرة بالطائرة اثني عشرة دقيقة . وقد حدث أن مئات من الرجال الذين يحملون أحمالاً ثقيلة سقطوا في المستنقعات في ميرديريه ودوف وغرق كثير منهم في تلك المستنقعات . وقفز آخرون

متأخرين ونزلوا في الظلام ، ولكنهم سقطوا في القنال الإنجليزي وضاعوا في مياهه . وقد سمع أحد الجنود وهو يرقد فوق كثبان الرمال على الشاطئ صرخات تأتي من بعيد . ولم يعرف إلا فيما بعد أن هذه الصرخات كانت تأتي من البحر حيث كان أحد عشر رجلا من جنود المظلات يغرقون في القنال الإنجليزي .

وتجمع الأمريكيون أثناء الليل في الحقول والمراعى بين البحر والمستنقعات . وقد استعملوا بدلا من بوق الصيد ، الذي استعمله البريطانيون ، لعبة بسيطة تعطى صوت صرصار الغيطان ، وهي قطعة من الصفيح ، إذا ضغط عليها أحدثت تكتكة . وكان مع كل جندي واحدة منها ، وعليه إذا سمع تكتكة واحدة أن يجيب عليها باثنتين . وبهذه الإشارات يخرج الرجال من مخابئهم في الأشجار أو الحفرات ، وبواسطتها استطاع كثير من الجنود الوصول إلى وحداتهم بسهولة .

وكان معظم أولئك الرجال ممن خبروا الحرب في صقلية وإيطاليا ، ولكن بعضهم لم يسبق لهم الاشتراك في الحرب . وقد وجد الرجال أنفسهم في حقول تحيط بهم الأشجار من كل جانب . وقد خيل إليهم أن كل ظل وكل صوت هو عدو يكمن لهم . وقد استعمل أحد الجنود الإشارة المتفق عليها ، ولكن جاء الرد من مدفع رشاش . وفي الحال ألقى نفسه على الأرض وصوب بندقيته في اتجاه المدفع وضغط على الزناد ، ولكن شيئا لم ينطلق ، فقد نسي الجندي أن يعمر بندقيته . وبعد ذلك جرى الجندي

إلى أقرب حاجز ليحتوى فيه .. ثم أخذ ينظر يميناً وشمالاً ، وعند ذلك سمع حركة وظن أن نهايته قد حانت . ولكن الصوت طمأنه فقد كان صوت قائد وحدته الذى قاله له : « هذا أنت يادتش ؟ » وخرج الاثنان إلى مكان تجمع الوحدة .

وسار الضابط مع وحدته بجانب حاجز من الأشجار ، وكانت الوحدة ورائه قد انفرجت كالمروحة وبعد قليل سمع أصواتاً ، ورأى جماعة تتقدم نحوه ، وعند ذلك أعطى الإشارة . وعندما اقترب الرجال منهم تبين أنهم من الألمان . وبعد قليل حدث أمر من الأمور الغريبة التى لا تحدث فى الحرب إلا نادراً . لقد مرت الجماعتان فى هدوء ، كأنهم أشباح متجمدة ، فلم يطلق أحد من الجانبين طلقة واحدة . وعندما زادت المسافة بينهما طغى عليهم الظلام واختفت الأشباح وكأنها لم تكن !

وفى مختلف أنحاء نورمندى كان رجال المظلات وجنود الألمان يتقابلون على حين فجأة . وفى هذه المقابلات كانت حياة الرجال تتوقف على ضبط الأعصاب ، وكثيراً ما كان الفاصل بين الحياة والموت جزء صغير من الثانية . ومن أمثلة ذلك أن الملازم ولاس (من الفرقة ٨٢) أوشك أن يصطدم بأحد الحرس الألمان كان يقف أمام كوخ به مدفع رشاش . ومضت لحظة قصيرة وكل منهما ينظر إلى الآخر فى دهشة ثم بادر الألماني وأطلق رصاصة من هذا البعد القليل ، وهى طلقة فى الصميم ،

ولكن الرصاصة أصابت بندقية الضابط الأمريكي وانحرفت وجرحت يده وانطلقت بعيداً . وبعد ذلك دار الرجلان كل على عقبه وهربا .
وهناك مثال آخر . وذلك أن الرائد ليجير (من الفرقة ١٠١) كان قد جمع مجموعة صغيرة من الجنود في حقل بين سنت مير إجليز والشاطئ ، وفجأة ناداه الحارس بالألمانية . ولم يكن ليجير يعرف كلمة ألمانية ، ولكنه كان يعرف الفرنسية جيداً . وبينما كان رجاله على بعد ، وكان الحقل مظلماً تماماً ، قال بالفرنسية إنه فلاح صغير ، وإنه كان يزور فتاته وهو الآن عائد إلى بيته ، ويعتذر لأنه تأخر وخالف قانون حظر التجول . وبينما كان يتكلم أزال قطعة الشريط اللاصق من زر القنبلة اليدوية ، وهو شريط أمان يوضع لمنع الانفجار ، ثم ضغط على الزر وألقى بالقنبلة ورقد فوق الأرض . ولما وقف وجد أنه قتل ثلاثة من الألمان . وقال ليجير فيما بعد : «عندما عدت إلى فرقتي الصغيرة الباسلة . وجدتهم قد تفرقوا إلى الرياح الأربعة » .

* * *

وفي تلك الحرب كانت هناك لحظات مضحكة . ففي حديقة مظلمة على بعد قليل من سنت مير إجليز وقف كابتن بوتنام ، أحد الجراحين في (الكتيبة ٨٢) . وبعد أن جمع أدوات الجراحة شرع يبحث عن طريق للخروج . وعندما اقترب من أحد الحواجز رأى شبحاً يتقدم نحوه بحذر . وعند ذلك تسمر الرجل في مكانه ومال إلى الأمام وهمس كلمة المرور وهي « فلاش » وهو ينتظر أن يسمع الرد وهو « رعد » . ولكن الرجل الآخر صرخ

قائلاً « بحق يسوع المسيح ! » وأطلق ساقيه للريح .

وعلى بعد قليل كان صديقه كابتن وود - وهو قسيس واقفاً وحده يكرر التكتكة ولا يجد من يجيبه . فجأة قفز القسيس رعباً عندما سمع شخصاً خلفه يقول له : « بربك أيها الأب أوقف هذا الصوت اللعين ! » وبعد ذلك خرج الاثنان من الحقل ، وفي المساء قصد هذان الرجلان إلى مدرسة مدام ليثرو في سنت ميراجليز حيث قام كل منهما بدوره في هذه الحرب . إن عملها هو الاعتناء بالجرحى والموتى من الجانبين .

وقضى الجنود الأمريكيون في تلك الليلة لحظات حرجة ، فكانت هناك مثلاً مجموعات صغيرة من الرجال الأشداء يهاجمون بعض الأهداف ، من ذلك حصن من الخابئ والمدافع الرشاشة والمضادة للطائرات قرب قرية فوكارثيل التي تشرف على الشاطئ الذي أطلق عليه اسم شاطئ يوتاه ، وقام بالهجوم كابتن فتزجرالد ، ومعه أحد عشر رجلاً ، وتقدم فتزجرالد ورجاله حتى مركز قيادة العدو . وقامت معركة دموية صغيرة . أصيب فيها فتزجرالد برصاصة في صدره ، ولكنه قبل أن يسقط أصاب الحارس الألماني إصابة قاتلة .

وكان هذا هو البداية وبلغ عدد الطلائع نحو ١٨,٠٠٠ من الأمريكيين والبريطانيين والكنديين تمركزوا في جناحي ميدان القتال في نورمندي . وبين هذين الجناحين تقع شواطئ الغزو الخمسة . وفيما وراء الأفق أخذ أسطول الغزو الهائل المكون من ٥٠٠٠ سفينة يقرب . وفي المقدمة

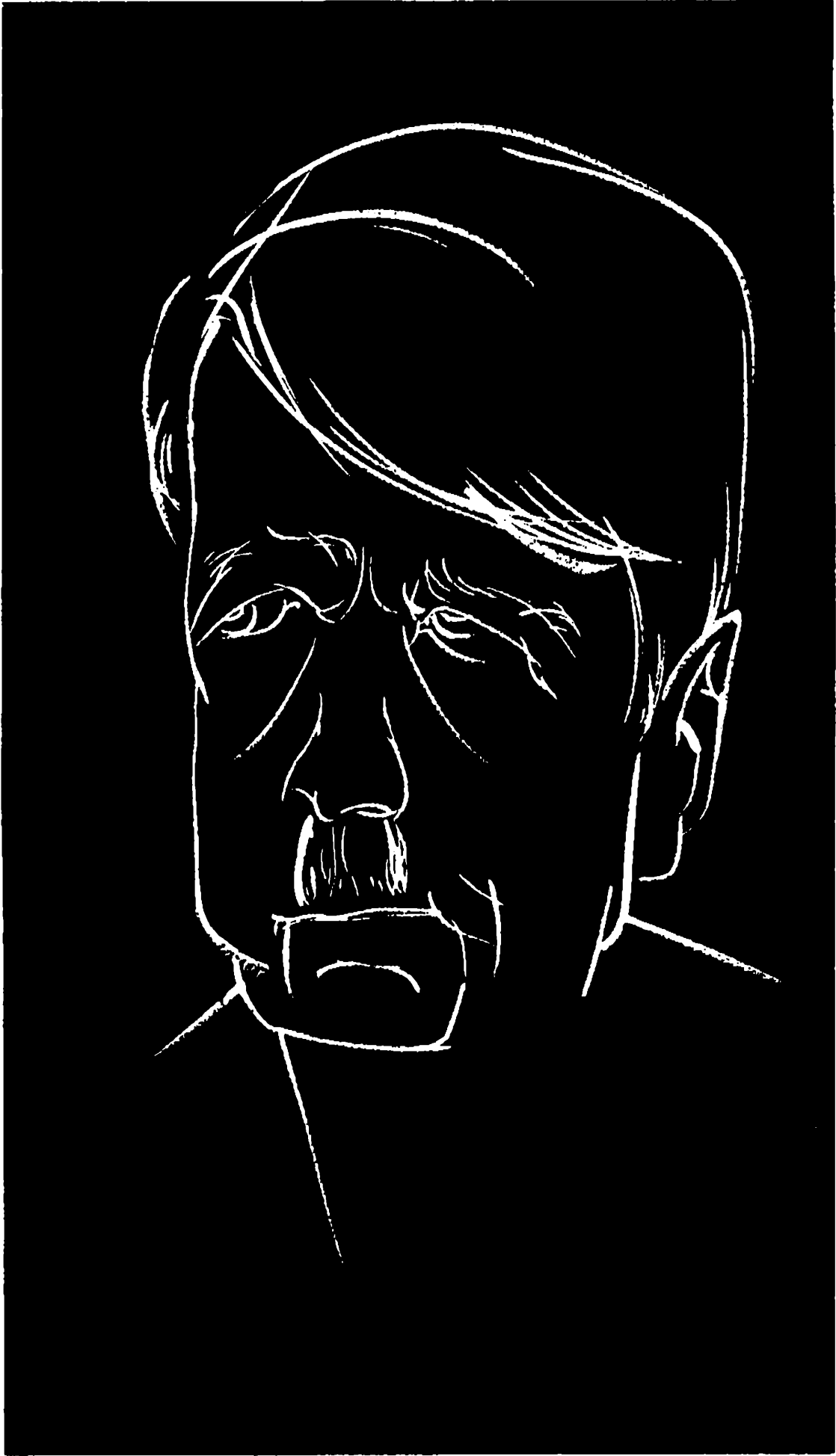
كانت سفينة الولايات المتحدة بايفيلد وعليها قائد القوة البحرية ، وكانت في تلك اللحظة على بعد ١٢ ميلا من شاطئ «يوتاه» .

وأخذت خطة الغزو العظمى تتضح شيئا فشيئا ، ومع ذلك استمر الألمان في عمائم ، أولا بسبب سوء الأحوال الجوية ، ثم لضعف طائرات الاستكشاف ، ومارسخ عند الألمان من أن الغزو لا بد أن يكون في منطقة «بادي كاليه» ، وذلك فضلا عن الفوضى في القيادات الألمانية وعجزها عن تقدير قيمة الرسائل التي كانت تصل سراً إلى رجال المقاومة السرية . وفي تلك الليلة الظلماء فشلت أجهزة الرادار في عملها لأن طائرات الحلفاء وهي تطير بجذاء الساحل ، ألقت كميات هائلة من الشرائط وقصاصات الصفيح المتشابكة كالشبابيك ، فهبطت فوق شاشات الرادار كما يهبط الثلج فوق الأرض ، فحجبت الرؤية .

ومضى أكثر من ساعتين منذ هبط أول جنود المظلات ، قبل أن تتنبه القيادة الألمانية في نورمندی إلى أن شيئا مهماً يجري هناك . وبدأت التقارير الأولى تأتي من أماكن مختلفة ولكنها أخذت وقتاً طويلاً . وكما يتنبه المريض بعد تعاطي المخدر ، أخذ الألمان يستيقظون من سباتهم .

٥ - القيادات الألمانية

سهر الجنرال ماركس في مقر قيادته من أجل التدريبات الحربية في رينز . وبينما كان يتناقش مع أركان حربه ، دق جرس التليفون وذهب



هتلر



موسولینی

الجنرال ليرد على التليفون ، ويذكر ضابط المخابرات أن الجنرال - وهو يستمع إلى التليفون - تصلب جسمه . لقد جاءت المكالمة من جنرال ريشتر قائد الفرقة ٧١٦ وهو الذي يدافع عن الشاطئ فيما يلي كاين . وقال ريشتر للجنرال ماركس : « لقد نزلت جنود المظلات شرقى نهر أورن ، ويبدو أن المنطقة تقع حول بريشيل ورائثيل » .

كان هذا أول خبر رسمي عن هجوم الحلفاء يصل إلى قيادة ألمانية كبيرة . وكان الوقت ٢,١١ صباحاً . وفي الحال اتصل ماركس بالماجور جنرال « پمسل » رئيس أركان حرب الجيش السابع . وفي الساعة ٢,١٥ أعلن پمسل حالة الطوارئ لأقصى حالة من الاستعداد . وكان قد مضى أربع ساعات منذ التقطوا الرسالة الثانية للشاعر الفرنسي قرلان . وأيقظ پمسل ضابط القيادة في الجيش السابع كولونيل جنرال « دولمان » وقال له : « يا جنرال أعتقد أن الغزو قد بدأ فهل لك أن تحضر في الحال » . وفي ذلك الوقت تذكر پمسل أنه قد وصلته في المساء نشرة مرسلة من أحد عملائهم في الدار البيضاء ، يخبرهم فيها بأن الغزو سيبدأ في نورمندی يوم ٦ يونية .

وبينما كان پمسل ينتظر دولمان جاء خبر آخر من الفيلق ٨٤ بأن جنود المظلات قد هبطوا قرب مونتبيورج وسانت ماركوف (في شبه جزيرة شربورج) . وفي الحال طلب پمسل رئيس أركان حرب رومل ، ماجور جنرال شپيدل ، في مقر مجموعة الجيش ب (في لاروش

جويون) وكانت الساعة ٢,٣٥ صباحاً . وكان ذلك أول إخطار يصل إلى مقر قيادة رومل ، ولكن لم يستطع أحد في مقر القيادة أن يجزم بأن هذا هو الهجوم الذي ظلوا ينتظرونه زمناً طويلاً .

وقد أراد الحلفاء أن يزيدوا الألمان ارتباكاً فأنزلوا مئات من الدمى من المطاط بحجم الإنسان وألبسوها ملابس الجنود . وقد سقطت جنوب منطقة الغزو في نورمندی ، وقد ربطوا في كل منها سلاسل من صواريخ الأطفال لكي تنفجر بمجرد ملامستها للأرض بحيث توهم أن هناك هجوماً بالأسلحة الصغيرة . والغريب أن جنرال ماركس استمر ثلاث ساعات ، وهو يعتقد أن هذه الدمى جنود مظلات تنزل على بعد ٢٥ ميلاً شمال غربي مركز قيادته .

كانت تلك اللحظات غريبة ، حيرت أركان حرب قون روندشتدت في باريس وضباط رومل في لاروش جويون . جاءت التقارير ترى بعضها غامضة لا تجزم بشيء وبعضها تؤكد نزول جنود المظلات . وقال رئيس أركان حرب قيادة رومل : « إننا ننظر إلى الموقف باطمئنان ، ويحتمل أن جنود المظلات هؤلاء ليسوا غير طيارين في طائرات من قاذفات القنابل اضطروا إلى الهبوط » . ولكن لم يكن عند « بمسل » شك في أن الغزو قد بدأ . ولهذا دعا إليه شبيدل وقال له : « إن نزول جنود المظلات هو أول مظهر من مظاهر هجوم العدو هجوماً كبيراً » . وبينما كان بمسل وشبيدل يتبادلان الرأي ، كانت آخر الطائرات التي تحمل قوات

الهجوم الجوى المكون من ١٨٠٠٠ جندى من جنود المظلات ، تنزلق فوق شبه جزيرة شربورج . وكانت هناك ٦٩ زلاقة جوية تحمل الرجال والمدافع والمعدات الثقيلة .

وحتى تلك اللحظة لم يعرف رئيس العمليات الحربية فى قيادة فون روندشتدت ، كما لم يعرف رئيس أركان حرب رومل شيئاً من ضخامة الهجوم . ويصعب على المرء أن يلوم أولئك الضباط على هذا الارتباك التام فهم على بعد أميال من القتال الحقيقى ، ويعتمدون كل الاعتماد على التقارير التى ترد من هنا وهناك . وقد اعتقد بعضهم أن جنود المظلات هى خدعة حربية يقصد بها تحويل أنظار الألمان عن الغزو الحقيقى الذى سيكون فى يادى كاليه حيث يوجد الجيش الألمانى الخامس عشر .

وكانت المشكلة الكبرى أنهم لم يستطيعوا فى بعض قيادات منطقة نورمندى الاتصال بقوادهم الذين رحلوا إلى رينز من أجل التدريبات الحربية . وقد أمكن الاتصال بمعظمهم بسرعة ، ولكن اثنين من قواد شبه جزيرة شربورج لم يستطع أحد العثور عليهما . وكان الأميرال كرانك القائد البحرى فى رحلة تفتيشية فى بوردو . وقد أيقظه رئيس أركان حربيه وهو فى الفندق وأخطره أن جنود المظلات يهبطون فوق كاين - وفى الحال أخطر كرانك القوات البحرية القليلة التى تحت إمرته وأسرع إلى مقر قيادته فى باريس .

وعلى الرغم من الارتباك والفوضى ، فإن الجنود الألمان الذين اشتبكوا

فعلا في القتال ، تصرفوا بسرعة . وتحرك ألوف من الجنود وهم متأكدون أن الغزو بدأ فعلا . ووقف ألوف من الجنود خلف الاستحكامات الشاطئية المنيعة ، وهم مصممون على صد الغزاة . وقال الجنرال «مسل» في مقر قيادة الجيش السابع يخاطب الضباط : « أيها السادة أنا مقتنع أن الغزو سيبدأ هنا قبل الفجر ، ويتوقف مصير ألمانيا على قتالنا في هذا اليوم. وإني أدعوكم لأن يقدم كل منكم ما في طاقته من جهد واحتمال وألم» .

وفي ذلك الوقت كان الرجل الذي ينتظر منه أن يشرف على صد الهجوم ، والذي انتصر في كثير من المعارك بمقدرته السحرية على رؤية ما وراء أشد المواقف غموضاً ، كان ذلك الرجل في ألمانيا ، على بعد ٥٠٠ ميل من مقر قيادته في لاروش جويون . في ذلك الوقت كان رومل يغط في نومه ، فإن أحداً لم يخطر له أن الموقف بلغ من الخطورة ما يقتضى دعوته إلى جبهة المعركة .

٦ - الطائرات الزلاقة

سبق أن ذكرنا أن الجنود والمعدات الثقيلة نقلت بالطائرات الزلاقة . وقد هبطت ٦٩ طائرة زلاقة في المنطقة البريطانية ، ولكن لم يهبط منها في المكان الصحيح إلا تسع وأربعون . وقد هبطت بعض الوحدات مبكرة . ومنها قوة المايجور هوارد التي هبطت عند الجسرين . أما في الجانب الأيمن من المعركة وهو جانب شبه جزيرة شربورج

فكان هناك موكب من ٥٢ زلاقة جاءت في تكوينات من أربعة ، وكل منها تجرها طائرة داكوتا . وكانت القافلة تحمل سيارات الجيب والمدافع المضادة للدبابات ووحدة طبية كاملة ، وبعضها تحمل جراراً صغيراً . وكانت الزلاقات وهي مربوطة إلى طائراتها تميل معها من جانب إلى جانب وهي تهرب من نيران المدافع المضادة .

والفرق بين الزلاقات والطائرات التي تحمل جنود المظلات ، أن الزلاقات مرت فوق القنال الإنجليزي من ناحية الشرق ووصلت إلى شبه جزيرة شربورج من تلك الناحية . ولم تمض إلا ثوان رأوا بعدها ضوء منطقة الهبوط على بعد أربعة أميال من سنت ميراجليز . وقد انفصلت الزلاقات عن الطائرات واحدة بعد الأخرى بقطع حبال النيلون التي يبلغ طول كل منها ٣٠٠ ياردة . وبعدها أخذت الزلاقات في الهبوط محدثة صوتاً كحفيف الأشجار .

تهشمت معظم الزلاقات عند الهبوط . ولكن أسوأ الأخطار هي التي أصابت الزلاقة رقم واحد فقد كانت تجرى بسرعة مائة ميل في الساعة ، ولم تستطع الفرامل أن توقفها ، فاندفعت حتى اصطدمت بحاجز من الأشجار . وقد قتل من رجالها جنرال « پرات » ، وكان أول ضابط من ضباط القيادة يلقي حتفه يوم الغزو .

وأصيبت الفرقة الأمريكية (٨٢) بنكبة مروعة. كانت هناك قافلة من خمسين زلاقة تابعة لتلك الفرقة ، هبط نصفها في المكان الصحيح ،

إلى الشمال الغربي من سنت مير إجليز . وأما النصف الآخر فقد اصطدم بحواجز الأشجار والمباني أو غطس في النهر أو في مستنقعات مرديريه . وقد قتل عدد كبير من الجنود والطيارين ، وتبعثرت المعدات . وأطاحت إحدى الزلاقات بمدخنة أحد المساكن ، ثم سقطت في فناء مسكن آخر واندفعت فوق الأرض واصطدمت في حائط حجري سميك . وقد قتل جميع ركاب تلك الزلافة .

وبينما كان سكان سنت مير إجليز يراقبون من خلف النوافذ ، كانت جنود المظلات تندس سرّاً في الشوارع الخالية . وكان جرس الكنيسة قد سكت ، وعلى برج الكنيسة كانت مظلة الجندي لاتزال معلقة وهي خالية . وبين آن وآخر كانت بقايا الحريق تشتعل وتضيء أشجار الميدان . وكان الضابط الأمريكي ينتظر أن يجد مقاومة عنيفة ، ولكنه لم يجد شيئاً من ذلك ، وبدا كأن الحرس الألماني قد رحل عن المكان . وقد أسرع الضابط وجنوده في احتلال الأبنية ، وأقام كتلا في عرض الطريق ومراكز للمدافع الرشاشة ، كما قطعوا أسلاك التليفون .

وكان أفضع منظر أزعج الجنود تلك الأجسام المعلقة من الأشجار . وقد وقف الرجال في ذعر ، وامتلأت نفوسهم بالرعب لهذا المنظر الفظيع . وبعد أن نصب الجنود بعض المدافع سار قائدهم نحو دار البلدية ، ورفع على جانب بابها العلم الأمريكي . وكانت سنت مير إجليز أول ما حرره الأمريكيون في فرنسا . وفي الساعة الرابعة والنصف صباحاً ، وصلت

رسالة إلى مقر قيادة الجيش السابع الألماني في « ليمان » مضمونها أن الاتصال التليفوني مع سانت مير إجليز قد انقطع .

* * *

كانت موقعة ميرفيل من أعنف المعارك التي وقعت في تلك الليلة . وتقع ميرفيل عند مصب نهر أورن في الشرق في الشاطئ الذي أطلق عليه « شاطئ السيف » . وهناك كان اللفتنان كولونيل الإنجليزي أوتواي يقود رجاله للهجوم على بطارية الشاطئ . وقد فشل الهجوم الجوي بالقنابل ، وضاعت قافلة الزلاقات بما فيها من مدافع وقاذفات اللهب وكاشفات الألغام . ولم يبق من الكتيبة وكان عددها ٧٠٠ رجل إلا ١٥٠ . كان أوتواي في موقف حرج فقد كانت أسلحتهم خفيفة ، لا تزيد على البنادق والمسدسات والقنابل اليدوية وقد تمكنوا في أول الأمر من شق طريق في الأسلاك الشائكة ، وأعدوا الطوربيدات القليلة التي كانت معهم لنسف بقية الأسلاك . وقام جماعة منهم بتطهير طريق في حقل الألغام . وقد كان ذلك عملاً محفوفاً بأخطار مذهلة . وكانوا يحسون الأرض أمامهم بالسونكي المعلق في البندقية ، وقد اختبأ الرجال في بعض الحفر وخلف حواجز الأشجار انتظاراً لبدء الهجوم .

أدرك أوتواي أن الإصابات في فرقة ستكون بالغة ، ولكن مدافع تلك البطارية تستطيع أن تفني الجنود عند نزولهم إلى « شاطئ السيف » . ولهذا كان عليه أن يهجم ، وهو يعرف أن الجزء الأخير من الخطة التي

أعدت بعناية ، مقدر له الفشل . ذلك أن الزلاقات الثلاث التي كان عليها أن تهبط فوق البطارية أثناء الهجوم الأرضي ، لن تهبط إلا إذا أرسل إليها أوتواى العلامة المتفق عليها ، وهي قذيفة مضئية تطلق من مدفع هاون . ولكن أوتواى لم تكن لديه تلك القذيفة ولا ذلك المدفع ، ولهذا فإن فرصته الأخيرة للحصول على النجدة بواسطة الزلاقات ، هذه الفرصة قد ضاعت منه .

وجاءت الزلاقات في موعدها تقودها الطائرات ، وأرسلت الطائرات علامات ضوئية للنزول ثم انطلقت . وكان هناك زلاقتان في كل منهما عشرون رجلا . وأما الزلاقة الثالثة فإنها عندما انفصلت عن طائرتها انحرقت واتخذت طريقها عائدة إلى إنجلترا . وسمع جنود أوتواى حفيف الآلات بينما مرت الزلاقتان فوق البطارية . ونظر إليها أوتواى ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً . ثم اقتربت الزلاقتان إلى الأرض ودارتا أماما وخلفاً . وكان الطيارون يبحثون عن العلامة التي لا يستطيع أوتواى أن يرسلها لهم . وأطلق الألمان عليهما النار وشق الرصاص جدران الزلاقتين ، ومع ذلك استمرت في الدوران حسب الخطة . وكان أوتواى يتألم وتوشك الدموع أن تطفر من عينيه لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً .

وبعد ذلك يثست الزلاقتان وانسحبت إحداهما لكي تهبط على بعد أربعة أميال . وأما الأخرى فقد مرت فوق الرعوس على ارتفاع منخفض ،

وظن الجنود أنها ستصطدم بالبطارية وفي اللحظة الأخيرة ارتفعت قليلاً ثم اصطدمت بأشجار على بعد قليل . وقد أراد بعض رجال أوتواى ، بدافع من غريزتهم ، أن يخرجوا لمساعدة من تبقى على الحياة من رجال الزلاقة ، ولكن أوتواى أمرهم ألا يتركوا أماكنهم .

أصدر أوتواى أمره بالهجوم ، وزحف الجنود على بطونهم ، وتقدموا إلى الأمام . وبعد قليل انفجرت أمامهم الألغام . وعلى الرغم من النيران التي كانت تصيبها عليهم المدافع ، وعلى الرغم من الألغام التي كانت تنفجر بين أن وآخر وصل الجنود إلى الخنادق ، وأخذوا يحاربون العدو وجهاً لوجه بالأيدي وهم يقاتلون قتال المستميت . واستطاع بعض الجنود الوصول إلى البطارية واندفعوا إلى الداخل ، واستسلم الألمان ، وبعد ذلك هشم جنود أوتواى مدفعين تهشياً تاماً ، وذلك بأن أطلقوا في كل منهما قنبلتين في وقت واحد ، فانفجرت ماسورتا المدفعين . أما المدفعين الآخرين فقد أتلفوهما إتلافاً مؤقتاً .

وانتهت هذه المعركة في ربع ساعة وأطلق أوتواى الشعلة الصفراء وهي علامة النجاح وقد نقلتها إحدى طائرات الاستكشاف وبلغتها باللاسكى إلى السفينة الحربية التي كانت تقف إزاء الشاطئ استعداداً لإطلاق القنابل على البطارية .

وبعد ذلك قاد أوتواى فرقته المهشمة من موقع بطارية ميرفيل الدموية . وفقد أوتواى نحو نصف رجاله بين قتيل وجريح . وقد اضطروا إلى ترك

معظم الجرحى إذ لم تكن لديهم معدات طبية أو نقالات . وهكذا تعطلت هذه البطارية أثناء الساعات القليلة الحرجة في يوم الغزو .

٧ - الغواصتان الحنفستان

في أقل من خمس ساعات بعد منتصف الليل أتم الجنود الذين هبطوا بالطائرات في منطقة الغزو في نورمندي كل ما كان في إمكانهم عمله . وقد نجحوا في نشر القوضى بين صفوف العدو وفي قطع مواصلاته ، وأصبحوا يتحكمون في طرفي منطقة الغزو ، إذ احتل جنود الرائد هوارد الجسرين ، وضرب أوتواى وجنوده بطارية ميرفيل وأتلفوها . واحتل جنود المظلات المرتفعات التي تشرف على مدينة كاين .

وفي الطرف الآخر من شواطئ الغزو الخمسة في نورمندي نجح الأمريكيون ، على الرغم من تعقد مشاكلهم وأهدافهم . فقد استولوا على سنت مير إجليز ، وهي مفتاح هام للمواصلات ، وقطعوا الطريق الرئيسي إلى شربورج . وأصبحوا يسيطرون على مؤخرة رأس الجسر لشاطئ « يوتاه » . ولكنهم فقدوا عدداً كبيراً من جنودهم ، فعند الفجر تبقى من الفرقة ١٠١ عدد لا يزيد على ١١٠٠ مع أن أصل عددها كان أكثر من ٦٠٠٠ جندي .

وعلى الرغم من الظروف المعاكسة استطاعت قوات الحلفاء السيطرة

على منطقة كبيرة من القارة ووضعوا أقدامهم فيها بحيث يمكن الغزو بطريق البحر .

وفي الساعة ٤,٤٥ صباحاً صعد إلى سطح البحر غواصتان صغيرتان إحداهما س ٢٣ بقيادة الملازم أونر ، والأخرى س ٢٠ وقد وقفت الغواصة الأولى على بعد ميل واحد من شاطئ نورمندى ، ووقفت الثانية على بعد ١٢ ميلاً . وكان طول كل منهما ٥٧ قدماً . وقد اتخذت كل منها موقعاً محدداً ، وكل منهما تحدد طرفاً من طرفي منطقة الغزو البريطانية الكندية ، وهي الشواطئ الثلاثة « السيف وجونو وجولد » . وعلى بحارتهما أن يقيموا صارياً فوق غواصتهم ، بحيث يكون الصاري منتصباً بنورله وميض وعليهم أن يعدوا جميع أجهزة الإشارات المرئية واللاسلكية ، وأن يقفوا في انتظار ظهور أول السفن البريطانية التي تستجيب إلى تلك الإشارات . وعندما صعدت الغواصة س ٢٣ إلى سطح البحر ، رفع قائدها « أونر » الغطاء ثم خرج إلى السطح ، وهو مساحة ضيقة تضرب فوقها الأمواج . وكان عليه أن يتشبث بالحاجز حتى لا تدفعه الأمواج إلى البحر . وبعد ذلك خرج البحارة وقد أضناهم التعب وأمسكوا بالحاجز ، وكانوا يتلهفون لاستنشاق هواء الليل العليل ، فإنهم بقوا أمام شاطئ نورمندى منذ فجر ٤ يونية ، وكانوا يقضون أكثر من ٢١ ساعة تحت الماء يومياً .

ولم تنته بعد مهمتهم الخطيرة ، فإن ساعة الصفر على الشواطئ البريطانية

تقع بين الساعة والسابعة ونصف صباحاً . ولهذا فإنهم سيقون في أماكنهم هذه مدة ساعتين ، حتى تصل أول السفن التي تمثل أول موجات الغزو . وحتى ذلك الحين على الغواصتين أن تبقىا ظاهرتين للعيان فوق سطح البحر ، وهما هدفان ثابتان ، يسهل على مدافع السواحل الألمانية إصابتها .

٨ - هتلر نائم

كان الناس في كل مكان ينتظرون فجر يوم ٦ يونية . وكان الألمان أشد الناس قلقاً ، فقد وردت الرسائل المختلفة بنغمة جديدة من التشاؤم . واستمرت الأخبار في ازدياد مدة أكثر من ساعة ، وأصبحت جميع الأدلة تشير إلى بدء هجوم الحلفاء على نورمندى . لهذا أصدر فون روندشتدت أمراً إلى جنود البانزر ، وهي القوة الاحتياطية التي تعسكر قرب باريس ، بالتجمع وأن تهرع إلى الساحل . وكانت هناك فرقتان من الجنود الأشداء تتبعان مقر قيادة هتلر ، ولا يجوز التصرف فيهما بغير إذن صريح من الفوهرر نفسه .

ولكن روندشتدت تصرف على مسؤوليته على أساس أن هتلر لا يمكن أن يعترض أو أن ينقض الأمر . وفي نفس الوقت بعث برسالة عن طريق المبرقة الكاتبة « يرجو » فيها الموافقة على إرسال الفرقتين . وكانت بالطبع برقية شكلية . كانت قيادة هتلر في برختسجادن في جنوب بافاريا

تعيش في جو ذلك الإقليم الشعري . وعندما وصلت الرسالة إلى مكتب رئيس العمليات كان هتلر نائماً . وظن رجال المكتب أن الموقف لم يتطور بدرجة تستدعى إيقاظ رئيسهم من نومه وإغلاق راحته . وعلى بعد ثلاثة أميال من برختسجادن يقع المقر الجبلي للفوهرر وعشيقته إيفابراون . وفي تلك الليلة لم يذهب هتلر - كعادته - إلى فراشه إلا في الساعة الرابعة صباحاً ، بعد أن أعطاه طبيبه جرعة منومة ، وكان هتلر في ذلك الحين لا يستطيع النوم إلا بجرعة منومة .

وحوالي الخامسة صباحاً اتصل مقر قيادة رئيس العمليات بالمساعد البحري لهتلر ، وقالوا له إن العدو ينزل جنوده في فرنسا ، ولكن الأخبار لا تزال غامضة . ثم طلبوا منه إبداء الرأي في إيقاظ هتلر . وقد أفتى المساعد البحري بأن الأمر لا يدعو إلى الاستعجال ، ومن الممكن أن تنتظر هذه الأخبار حتى الصباح .

واعتقد القواد الألمان في فرنسا أنهم فعلوا كل ما يمكنهم فعله عندما أُنذروا قواتهم وطلبوا إرسال جنود البانزر . أما الخطوة التالية فتوقف على هجوم الحلفاء ، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقدر ضخامة هذا الهجوم . وكانت الأخبار تشير إلى أن الهجوم سيكون في نورمندی ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يؤكد موقع الهجوم الرئيسي .

وفي تلك اللحظات كان الرائد بلوسكات - الذي سبق أن ذكرنا أنه ذهب مع ضباط المدفعية إلى أحد مراكز القيادة التي تشرف على شاطئ

نورمندى قرب قرية سنت أونورين - يراقب الشاطئ وهو لا يستطيع أن يفهم لماذا لا يأتي خبر سواء من مقر قيادة الفرقة المحلية أو من مقر قيادة الفرقة . ولا شك أن سكوت التليفون طول هذا الوقت أثناء الليل يعد علامة طيبة . ولكن ما معنى هبوط جنود المظلات ، وما معنى تلك التشكيلات من الطائرات ؟

عاد مرة أخرى إلى المنظار وأخذ يديره إلى اليسار ، ومر به ببطء على الأفق ووصل إلى منتصف الخليج بالضبط وعندئذ وقفت حركة المنظار وتصلب بلوسكات وحملت ممعناً النظر . . . لقد شاهد خلال الضباب الذى أخذ ينقشع عند الأفق كأنما يد ساحر قد ملأته بالسفن من كل حجم وكل وصف . سفن تروح وتجيء كأنما مضى عليها فى مكانها ساعات . أحس الرجل أن أمامه آلاف من السفن ، وكأنها أرماداً من الأشباح جاءت من حيث لا يدري . وفى هذه اللحظة توقف لسانه عن الكلام ، وسرى فى جسمه شعور لم يسبق أن شعر به فى أى يوم من حياته . . أدرك فى الحال أن هذه نهاية ألمانيا . ثم التفت إلى زميله وقال ببساطة : « إنه الغزو . . . انظرا بنفسكما ! » وبعد ذلك تناول التليفون ونادى مقر قيادة الفرقة ٣٤٢ وقال : « ماجور بلوك ، إنه الغزو ، لا بد أن هناك عشرة آلاف سفينة فى البحر » ورد عليه الرائد بلوك : « بلوسكات إنك تخرف فإن الأمريكان والإنجليز معاً لا يملكان هذا القدر من السفن . لا أحد يملك عشرة آلاف سفينة » .

وعند ذلك أفاق بلوسكات من الدوار الذى أصابه وصرخ : « إذا كنت لاتصدقنى فتعال بنفسك لترى . إنه شىء لا يصدق ! شىء فوق العقل ! »

ومرت لحظة صمت قصيرة ، بعدها قال بلوك : « إلى أى جهة تتجه هذه السفن ؟ » وأجاب بلوسكات والتليفون فى يده وهو ينظر من فتحة المرقب : « إنهم يتجهون نحوى أنا » .

الجزء الثالث

في وضوح النهار

- ١ - الهجوم من البحر
- ٢ - معارك الشواطئ
- ٣ - برختسجادن
- ٤ - القرى والمدن الفرنسية
- ٥ - أخيراً حلت العقدة
- ٦ - يا للبطولة !
- ٧ - القوات الألمانية المدرعة البارز
- ٨ - الإصابات

١ - الهجوم من البحر

لم يحدث فيما مضى من الزمان أن طلع على الأرض فجر مثل هذا الفجر ، ففي ضوءه القاتم المغبر بالضباب . وقف أسطول الحلفاء في فخامته الرائعة المخيفة أمام شواطئ الغزو الخمسة . لقد كان البحر على امتداد الأفق مكتظاً بالسفن ، ورفرفت أعلام الحرب فوق الصاريات وبدأت البوارج الضبخمة والطرادات الخطيرة والمدمرات النحيلة : كأنها كلاب الصيد ، وهي تسد وجه البحر وخلفها وقفت سفن القيادة المتحفزة وقد امتلأ سطحها بغابة من ساريات الهوائيات^(١) وقبعت خلف هذه السفن قوافل من الناقلات التي تحمل الجنود ، وسفن إنزال الجنود وتلك التي تحمل المهمات والأسلحة . وكانت هناك مجموعات من القوارب تدور حول الناقلات وهي صنادل واطئة قليلة السرعة وهي تقوم بمهمة نقل الجنود إلى البر .

وامتلاً الجو بالضوضاء . واجتمعت أصوات الآلات مع أصوات سفن الحراسة ، وهي تمر بسرعة ذهاباً وإياباً بين سفن الهجوم . وكانت الآلات الرافعة تزار عندما ترفع العربات وتدورها لكي تنزل إلى الماء . وكانت هناك عربات « برهائية » تسير في البر والبحر . وكانت هناك سلاسل ضخمة تتحرك لإنزال القوارب إلى الماء والزوارق تخرج وتضطرب

(١) الهوائى هو الإيرىال .

بجانب ناقلات الجنود العالية ذات الجوانب الصلبة . وبين آن وآخر يرتفع النداء إلى تلك الزوارق أن تلزم صفها . وفي الوقت نفسه كان رجال البحرية يجمعون قوارب الانقضاض في صفوف منتظمة . فوق ناقلات الجنود ازدحم الرجال وهم ينتظرون دورهم في النزول إلى القوارب التي كانت تعلق وتهبط ويملؤها رذاذ الماء من أمواج البحر .

وكان يتخلل كل هذه الأعمال أجهزة الإذاعة الخاصة فوق السفن وهي ترسل سيلا مستمرا من التوجيهات والشعارات :

« قاتل من أجل وصول الجنود إلى البر ، ودافع عن السفن ، وقاتل لتنقذ نفسك » .

« تذكروا دنكرك ! وتذكروا كوونترى ! » .

« سنموت فوق رمال فرنسا العزيزة ، ولكننا لن نولى الأدبار ! » . . .

ثم كان هناك نداءان ينسهما الرجال فيما بعد : لأنهما مقتبسان من الكتاب المقدس وهما :

« لتذهب جميع السفن » . . . و « أبانا الذي في السموات ليتقدس .

اسمك » .

* * *

وكان من الطبيعي أن يقوم بين الجنود روابط متينة من الصداقة ، فقد قضاوا ساعات طويلة على ظهر السفن تجمعهم مشاعر واحدة . ولهذا فإن بعضهم كانوا يتركون أماكنهم ليودعوا أصدقاءهم . وقد تبادل

مئات عناوين بيوتهم في الوطن ، وناضل الرائد ستيفنسن بحثاً عن أخيه التوأم : « وأخيراً عثرتُ عليه وتبسم لي وهدي لي يده وقلت له وداعاً ، سنلتقي في فرنسا ، ولكني لم أره بعد ذلك » . ووقف قسيس من رجال الدين وقال للجنود وهم يستعدون للنزول إلى قواربهم : « من الآن سأقوم نيابة عنكم بالصلاة ، وإن ما تقومون به اليوم سيكون صلاة في ذاته »

وعلى ظهر إحدى السفن ألقى أحد الضباط بيتين من الشعر من رواية هنري الخامس لشكسبير لأنه رأى فيهما مايناسب المقام (١) :

« إن من يعيش بعد هذا اليوم ويرجع إلى وطنه سالماً .

سيقف فوق أطراف أصابع التمدد عندما يذكر هذا اليوم »

(والمقصود أنه سيشعر بالفخار)

وزادت الحركة نشاطاً ، وتضاعف عدد السفن التي تحمل الجنود ، وكانت القوارب تدور حول السفن الكبيرة باستمرار والواقع تعد عملية نقل الجنود شديدة التعقيد كثيرة الأخطار . وخاصة لأن الجنود يحملون قدراً كبيراً من المهمات التي تشل حركتهم . وقد أعطى لكل جندي أنبوبة من المطاط للمحافظة على حياته إذا اضطر إلى الغطس تحت سطح الماء . وكان الجندي يحمل الأسلحة والمهمات الحربية ومعدات الخنادق وأقنعة الغاز ومعدات الإسعاف ومواد التموين . ولكل جندي قدر وافر من

He that outlives this day, and comes safe home, will stand a (١)

tip-toe when this day is named.

القنابل اليدوية والذخيرة منها ٢٥٠ طلقة وهكذا قدر أن وزن الجندي بما يحمل لا يقل عن ٣٠٠ رطل ، ولهذا كانوا يمشون كالسلحفاة ، وقال أحد الضباط إنهم بهذا الشكل لن يستطيعوا القتال .

وحدثت إصابات كثيرة لبعض الجنود ، وهم يحاولون النزول إلى القوارب بما يحملون من مهمات ثقيلة وهبط بعض الجنود من سطح السفينة بالسلم وبعضهم ركب القوارب وهي على سطح السفينة ثم أنزلت القوارب إلى البحر بالسلاسل . ولكن حال هؤلاء لم تكن خيراً من حال الآخرين . وكانت الأمواج ترتفع حتى إن القوارب كانت تعلو وتهبط وقد عاقت بالسلاسل كأنها لعبة اليويو وقد أوشكت إحدى الموجات الهائلة أن ترفع القوارب بما فيها من رجال إلى سطح السفينة مرة أخرى .

وعندما كان الجند في القوارب الصغيرة أبلغ الجنود القدامى زملاءهم ما يتوقع أن يجذوه عندما يهبطون على الشاطئ ومن ذلك ما قاله أحدهم : « أريد منكم أن تجعلوا رعوسكم تحت مستوى الطرف العلوي للقارب ، فإن الألمان بمجرد أن يكتشفوننا سيطلقون علينا نيرانهم . وإذا وصلتم سالمين إلى البر فهذا خير لكم وإلا فإن هذا المكان صالح للشهداء » . وفي الساعة الخامسة والنصف صباحاً تحرك جنود الموجة الأولى في طريقهم إلى الشواطئ وكان الهجوم المبدئي يتكون من ثلاثة آلاف رجل ، من وحدات الجيش والبحرية وتدمير الألغام تحت سطح الماء ، ومن وحدات الدبابات ومجموعات الرانجرز الأمريكية وحددت لكل فريق

منطقة خاصة ينزل فيها وكانت شواطئ الغزو في نورمندي قد قسمت إلى خمس مناطق كما سبق .

وقد أعد جدول زمني للنزول على شاطئ « أوماها ويوتاه » وهما المخصصين لقوات الولايات المتحدة . ويكاد الجدول يكون دقيقة بدقيقة ، ومثال ذلك :

١ - الساعة ٦,٢٥ صباحاً تعوم ٣٢ دبابة برية مائية إلى قطاعين معينين من شاطئ أوماها وتتمركز لإطلاق النار من حافة الماء لتحمي المرحلة الأولى من الهجوم قبل ساعة الصفر بخمس دقائق .

٢ - الساعة ٦,٣٠ (وهي ساعة الصفر) تنقل ثمان من سفن النقل عدداً آخر من الدبابات وتنزلها من البحر مباشرة على قطاعين آخرين محددين .

٣ - الساعة ٦,٣١ يهجم الجنود على الشواطئ في جميع القطاعات .

٤ - الساعة ٦,٣٣ - يبدأ عمل مهندسي تدمير الألغام تحت الماء ، وعليهم مهمة شاقة جداً ، وهي مهمة تطهير ١٦ ممرًا عرض كل منها خمسون ياردة وسط الألغام والموانع المبتوثة تحت سطح الماء . والمدة المخصصة لهذا العمل كله ٢٧ دقيقة .

٥ - الساعة ٧,٦ تنشب معارك هجومية على فترات بين كل منها

٦ دقائق ، وبعد خمس موجات يبدأ عبور القوات الرئيسية .

وقد أعد هذا البرنامج إعداداً دقيقاً ، وخصص للمعدات الثقيلة مثل المدافع

ساعة ونصف الساعة لتصل فيها إلى مواقعها على الشواطئ . وأما الآلات الرافعة والمبصفتات نصف جنزير وعربات إنقاذ الدبابات . فقد حددتها الساعة العاشرة والنصف صباحاً . وقد كان هذا الجدول متداخلاً ومعقداً ، ولهذا بدا كما لم يكن من الممكن تنفيذه بالدقة الكافية ، ولا ريب أن واضع الحطة لم يفهم أن يأخذوا هذا الأمر في الاعتبار .

ولم يستطع جنود الموجة الأولى رؤية الشاطئ بسبب الضباب وهم على بعد تسعة أميال . وقامت بعض السفن الحربية بتبادل النيران مع بطاريات الساحل الألمانية . ولكن القتال الفعلي لم يبدأ إلا فيما بعد . والحقيقة أن أكبر عدو للجنود في ذلك الوقت كان دوار البحر . وكان في كل قارب ثلاثون رجلاً ومعهم جميع معداتهم . وكان بعضهم يرقد في القوارب والمياه تضربهم مارة فوقهم من جانب إلى جانب ، ولم يكن يعينهم أي عيشون أم يموتون .

* * *

وكان القائد البحري الألماني هو فان في المدمرة رقم ٢٨ ، عندما وصلت رسالة من مقر القيادة تأمره بالخروج إلى البحر . وكانت مدمرته من سفن الطوربيد الأولى في أسطول مكون من ست مدمرات تقف في ميناء الهافر . وفي الحال خرجت ثلاث من المدمرات واستعدت الثلاث الأخرى للحاق بها . وجرت السفن في الليل بسرعة ٢٣ عقدة ، وهي تتجه في خط مستقيم نحو أعظم أسطول اجتمع في مكان واحد .

رأى هوفان على بعد ثلاثين ميلاً ضباباً غريباً له شكل غير طبيعي يغطي سطح البحر ، وبينما كان يراقبه خرجت من وسط الضباب الأبيض طائرة واحدة . وعند ذلك أدرك أن هذا الضباب ستار من الدخان . وبعد قليل وصلت المدمرات الثلاث إلى منطقة الضباب . وعند ذلك وجد هوفان نفسه أمام مجموعة مذهلة من السفن الحربية ، فأينما اتجه نظره رأى سفناً حربية وطرادات ومدمرات ، وبدت هذه السفن كالأبراج بالنسبة إلى قاربه . وسرعان ما سقطت القنابل حول قواربه الثلاثة ، التي اتخذت طريقاً منفرجاً لكي تتجنب النيران .

لم يتردد هوفان لحظة واحدة ، أصدر الأمر بالهجوم - وكان هذا هو الهجوم البحري الوحيد الذي قام به الألمان في يوم الغزو - وعند ذلك أطلقت تلك القوارب ثمانية عشر طوربيداً ، واستطاعت السفن الحربية التي كانت في طريق الطوربيدات الهرب من الخطر المحدق بها ، ولكن المدمرة الترويجية سقرت أصيبت إصابة شديدة . صدم الطوربيد المدمرة وشطرها نصفين وفي الحال غرقت ، وبلغت إصابات رجالها ثلاثين بين قتيل وجريح .

رجع هوفان ومدمراته الثلاث سالماً إلى ما وراء ستار الدخان . وأرسل الخبر إلى الهاغر دون أن يدري أن جهاز الراديو الذي لديه تعطل خلال المعركة . . وفي الساعة الخامسة ونصف صباحاً أصبحت منطقة الغزو كلها كأنها بركان ثائر يقذف سيلاً من الحمم النارية . وعلى طول

شواطئ نورمندي كانت هناك دوامة صوتية ، كأنها الرعد القاصف
بينما أضواء الجو القاتم بنيران المدافع ، وانتشرت سحب عظيمة من الدخان ،
وأخذت تصعد إلى عنان السماء وتنعقد هناك .

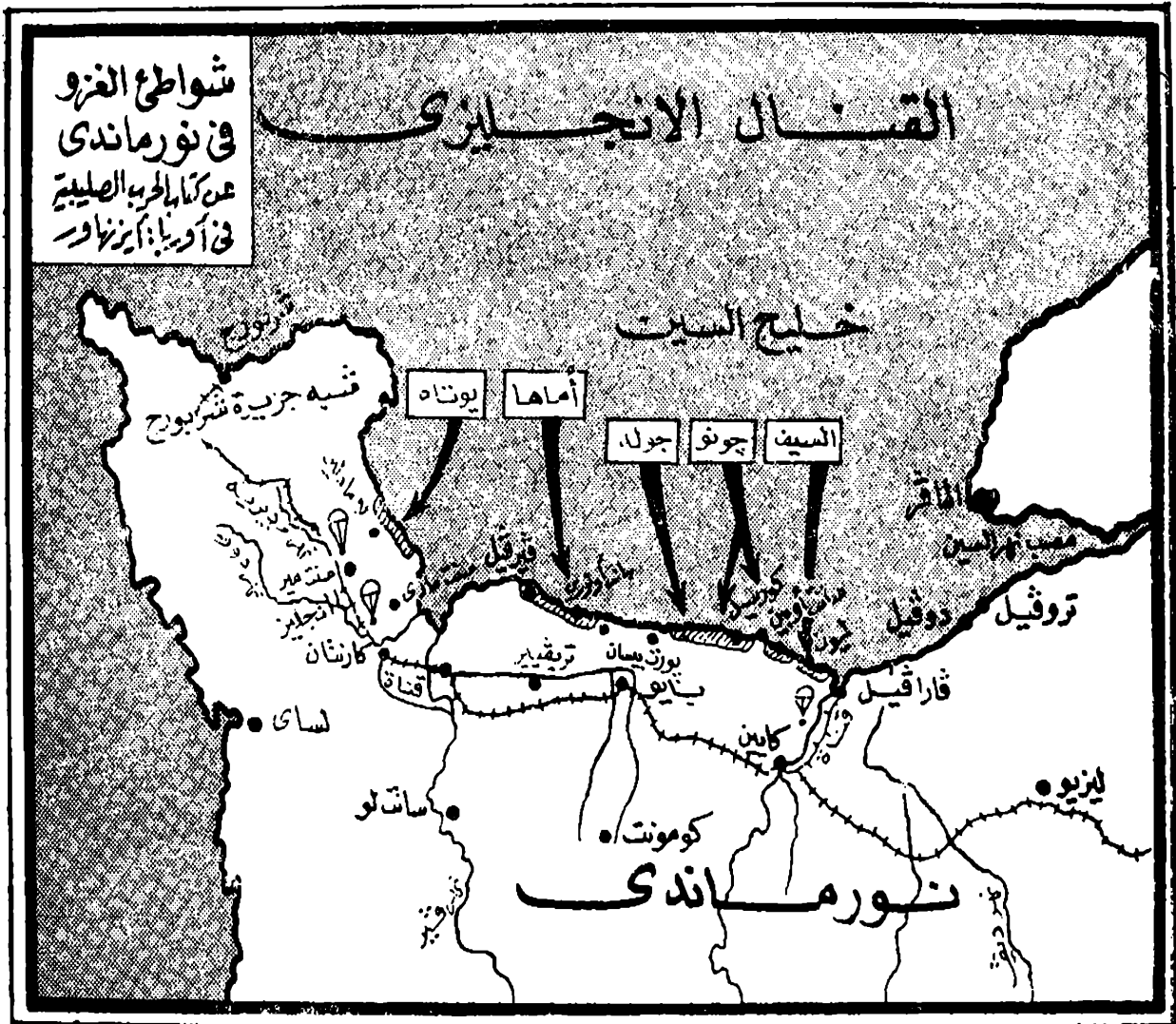
كانت السفن الحربية تطلق نيرانها من بعد خمسة أوسنة أميال من
مدافع عيار ١٥ بوصة على الاستحكامات الألمانية في الهافر ومصب نهر
أورن ، أما المدمرات والطرادات فكانت تطلق نيرانها بدقة متناهية ،
وكانت ترسل سيلا من القنابل إلى مخابئ المدافع وأبراج المراقبة ، وغيرها .
وأرسلت المدافع نيراناً مركزة على الأهداف في جميع أنحاء شبكة
التحصينات الساحلية .

وارتفع صوت جديد هز الأسطول هزاً عنيفاً ارتفع الصوت
وجلجل الفضاء عندما ظهرت في السماء قاذفات القنابل والمقاتلات ، وقد
أقبلت في خط مستقيم ، فوق الأسطول . وهي تمر الجناح حذو الجناح
والتشكيل يلي التشكيل . لقد كان هناك ٩٠٠٠ طائرة معظمها من سبتمبر
وثندربولت وموستانج . ومن فوقها على ارتفاعات مختلفة مرت قوات من
القاذفات متوسطة الحجم . وفوق هذه كانت القاذفات الضخمة من أنواع
لانكاستر ، والقلاع الطائرة وليبراتور .

اتجهت الأنظار إلى السماء ، وزاغت العيون ، وسرت في الجنود
روح الحرب كأنها تيار كهربائي عنيف . عرف الجنود أن هذا الدرع
العلوي سيمنع العدو من الحركة وسيدمر مدافعه وسيحول شواطئه إلى

حفر كأنها جحور الثعالب . ولكن في بعض الشواطئ حالت السحب دون رؤية الأهداف ، واضطرت الطائرات أن تتجنب شواطئ الغزو ، حتى لا تصيب جنود الحلفاء ، فألقت قنابلها في الداخل ، على بعد أميال من الأهداف الأصلية فوق الشواطئ .

وفي ذلك الوقت أذيع من لندن النداء الآتي ، موجهاً إلى سكان البلاد :



« نبلغكم هذه التعليمات العاجلة من القائد الأعلى ، وهي موجهة إلى جميع الذين يقطنون في مدى ٣٥ كيلومتراً من الشاطئ . اتركوا المدن

في الحال ، وأثناء خروجكم بلغوا جيرانكم . ابتعدوا عن الطرق العامة ، وسيروا على الأقدام ، ولا تأخذوا معكم إلا ما يسهل حمله . والجأوا بأسرع ما تستطيعون إلى الحلاء . ولا تكن هناك تجمعات كبيرة ، فقد نخطئ ونظنها من حشود الألمان .»

٢ - معارك الشاطئ

ملأت الضوضاء الأذان ، بينما اتجهت السفن نحو الشاطئ تاركة خلفها في البحر خطوطاً طويلة وكانت آلات الديزل تزار بصوت عال وفوقها كانت تندفع قنابل الأسطول كأنها مظلة هائلة من الصلب . ولكن من الغريب أن مدافع حائط الأطلنطي ظلت صامتة . وتعجب الجنود لهذا السكون . ولعل بعضهم ظن أن النزول إلى الشواطئ سيكون أمراً هيناً . وأن مخاوفهم كانت وهماً باطلاً .

ظلت الزوارق التي تنقل الجنود تضطرب في الأمواج ، وكانت الجنود تضج من البرد والبؤس والقلق والقيء ، وقد تكدسوا في قواربهم ، وتكدست فوقهم أمتعتهم إلى حد أنه في أكثر الأحيان ، لم يكن هناك مكان للتخلص من قيء من يصيبه الدوار ووقد بعضهم وسط قدارة القيء وهم يلعنون من صنع هذه القوارب . ولم يجد بعض الرجال وقتاً للتفكير في متاعبهم ، فقد كان عليهم أن ينزحوا الماء لينقذوا زوارقهم من الغرق . وفي أول الأمر ظن الرجال الأضير من أن يبقى ماء البحر يضرب في سيقانهم . وقد تحمروا

الكثير ، ولا مانع من أن يتحملوا مشقه جديدة . وامتلات بعض القوارب بالماء حتى كادت تغرق ، واضطر الجنود إلى إلقاء الكثير من أمتعتهم في البحر للتخفيف من حمولة القارب . وقد غرق فعلا عدد من القوارب ، وكان الجنود يسبحون إلى أن تصل إليهم سفن الإنقاذ التي تجيء وراء القوارب . وغرق بعض الجنود بسبب ثقل الأمتعة والذخيرة التي عجزوا عن التخلص منها .

وفي تلك اللحظات القاسية تحولت الحرب إلى كفاح شخصي . ومن أمثلة ذلك أن الجنود الذين كانوا متجهين إلى شاطئ يوتاه شاهدوا قارباً من قوارب الإشراف التي تسير في مقدمة مجموعة من القوارب ، شاهدوا ذلك القارب يرتفع فوق الماء ثم ينفجر . وبعد لحظة ظهرت فوق سطح الماء رعوس الناجين وهم يجاهدون لإنقاذ أنفسهم بالتشبث ببعض المخلفات الطافية . وقد حاول الجنود والبحارة في إحدى سفن النقل إنزال أربع من الدبابات البرمائية ، ولكنهم لمسوا لغماً بحرياً كان غاطساً تحت سطح الماء فانفجر اللغم واندفع مقدم السفينة إلى أعلى وغرقت السفينة بدباباتها وطارت إحدى الدبابات مسافة مائة قدم ثم انقلبت وغرقت .

وفي الطريق إلى الشاطئ رأى عشرات من الجنود الجثث الطافية فوق الماء ، وسمعوا صراخ الغرقى . وكانت الأوامر ألا تقف القوارب التي تنقل الجنود ، بل عليها أن تصل في الوقت المحدد ، دون نظر إلى الحوادث

التي تواجهها . وكان منظر الجثث فوق الماء ، وما أصاب الجنود من الإرهاق بسبب الرحلة الطويلة ، فضلاً عن توقع الخطر كلما اقتربوا من الشواطئ . كل ذلك هز أعصاب الجنود هزاً عنيفاً ، وأخذ بعضهم يلعن هتلر وموسوليني ، وبعضهم الآخر يستوثق من صلاحية سلاحه مرات .

وقد حدثت نكبة مؤلمة عند نقل الدبابات البرمائية إلى البر فقد غرق نصفها . وكانت الحطة أن تنقلها السفن إلى أن تصل إلى بعد ميلين من الشاطئ ثم ينزلونها إلى البحر . وكانت معدة بحيث تستطيع أن تعوم في الماء . وكانت الدفعة الأولى مكونة من ٦٤ دبابة ولكن الأمواج الهائجة مزقت أجنحتها المصنوعة من قماش سميك لا ينفذ منه الماء . وكسرت الأمواج قواعدها ومالت آلاتها بالماء وتمكن بعض الرجال من النجاة بأنفسهم ، ولكن بعضهم غرقوا مع دباباتهم .

استمرت المدافع الألمانية صامتة لاتطلق قذائفها ، وتقدمت القوارب إلى أن أصبحت على بعد ٥٠٠ ياردة . وعند ذلك رأوا ما أعد لهم من استحكامات وأسلاك شائكة تتصل بها الألغام . وعندما أصبحت القوارب على بعد ٤٠٠ ياردة بدأت مدافع الألمان تطلق نيرانها . وكان أشد هذه النيران فتكاً ما كانت تقذفه المدافع الرشاشة . وصبت مدافع الألمان معظم نيرانها على القوارب التي تحمل الجنود وأصابها بنحسائر بالغة .

وعندما وصل الجنود الأمريكيون إلى شاطئ « أوماها » انصبت عليهم أكثر النيران تركيزاً من التلال التي تطل على الشاطئ من جانبيين .

وذلك لأن الشاطئ هناك يشبه الهلال . ففي الجانبين الغربي والشرقي ركز الألمان أقوى استحكاماتهم لحماية المخرجين الرئيسيين ، وهما يوصلان من فيرفيل إلى كولفيل .

واستطاعت بعض القوارب الهرب من الألغام ، ومن نار المدافع المحرقة ، وسارت على غير هدى ، باحثة عن شاطئ أقل خطراً . أما القوارب التي ثبتت وحاولت أن تنزل في المكان المخصص لها فقد تحملت ضرراً كبيراً ، وعندما قفز الجنود إلى الماء اصطادتهم المدافع الرشاشة ، وانفجرت بعض القوارب وتناثرت أجزاؤها . وحاول الذين نجوا من الانفجار أن يهربوا من رصاص المدافع وفقدوا أسلحتهم وكل معداتهم . وقد بقي بعض الجنود في الماء ساعات طويلة ، قبل أن يتمكنوا من بلوغ الشاطئ . وكان على الجنود أن يخوضوا في الماء ثم يعبروا نحو مائتي ياردة في رمال مشحونة بالأخطار ، ثم عليهم أن يتسلقوا أرضاً ترتفع تدريجاً حتى يحموا في صنور التلال المشرفة على البحر . وكانت أحمالهم عبئاً ثقيلاً ، ولم يكن هناك ما يقيهم شر الرصاص ، فقد كانوا هدفاً سهلاً لنيران المدافع الرشاشة .

ويقص أحد الجنود أن الرصاص ونيران المدافع كانت تحصد الرجال حصداً بمجرد أن يغادروا قواربهم ، وقد احتسى الجنود بالمهمات التي كانوا يحملونها . وفي أثناء الدقائق الأولى من المذبحة التي وقعت على الشاطئ شلت النيران حركة وحدات بأكملها (سرايا) ،

وفي المسافة الحرجة بين القوارب وحافة الشاطئ، لم ينج من تلك الوحدات (السرايا) إلا أقل من ثلث جنودها ، وقد قتل ضباطها أوجرحوا جراحاً بالغة . أما الجنود ففقدوا أسلحتهم وقدرتهم على القتال ، وتجمعوا في أسفل التلال حيث استقروا طول اليوم . وكانت هناك وحدات أخرى في نفس القطاع إصابات أكثر فظاعة .

وقد نزلت إحدى الوحدات (سرية) في قاربين مع الموجة الأولى فأفنى الألمان أكثرها وغرق القارب الأمامي وفي اللحظة التي وقف فيها القارب الثاني لكي ينزل منه الجنود انطلقت المدافع الرشاشة وقتلت وجرحت عدداً كبيراً من الجنود وأسرع الباقون يحتمون بالتلال الشاطئية . وكان أحد الجنود « نلسون نويز » يترنح تحت ثقل ما يحمله من الصواريخ ، وبعد أن قطع مائة ياردة اضطر إلى الرقاد على الأرض ، وبعد لحظة وقف وجرى مرة أخرى . وعندما وصل إلى بعض الصخور أصابته المدافع الرشاشة برصاصة في ساقه . وبينما كان يرقد على الأرض أبصر الألمانيين اللذين كانا يطلقان عليه النار وهما يطلان عليه من أعلى التل . وعند ذلك استند إلى ذراعه ، وأطلق مدفع التومي الذي كان يحمله وأصابهما معاً

وعندما وصل الكابتن رالف جوارنسون قائد السرية إلى أسفل التل لم يجد باقيا معه إلا خمسة وثلاثين من جنوده وكان عدد السرية في الأصل سبعين . وعندما أتى الليل وجد قائد السرية أنه خسر عدداً كبيراً من جنوده، فقد

قتل وجرح منهم نحو عشرين آخرين ولم يبق معه صالحاً للقتال إلا اثنا عشر جندياً .

وجاءت المصائب في شاطئ أوماها يتلو بعضها بعضاً ، واختلطت الجنود ، وأنزل بعضهم في قطاع غير القطاع المنشود . ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الارتباك الأخطاء التي وقعت فيها قوارب الإشراف ، كما أنه كان هناك تيار قوى من الماء يجرى من الغرب إلى الشرق ، ولهذا وصلت معظم القوارب إلى الشرق قليلاً من المواقع المحددة لها . وهناك أيضاً كان الضباب والدخان الذي انتشر على أثر اشتعال النار في الأعشاب الشاطئية مما جعل رؤية علامات الطريق متعذرة . ولم تستطع بعض وحدات الجنود التي وجدت نفسها بلا ضباط ولا مواصلات أن تتحرك من أماكنها بسبب زيران الألمان التي حاصرتها .

وحدث مثل ذلك لوحدات مهندسي تدمير الألغام الذين كانت مهمتهم شق ممرات آمنة وسط الألغام التي تنتشر على الشواطئ ، فقد تبعثروا بعيداً عن الأماكن المخصصة لهم ، كما أنهم وصلوا متأخرين عن المواعيد المحددة لهم . وكلما تجمع منهم عدد كاف كانوا يبدؤون في عملية التطهير ، وهي عملية شاقة تعترضها عقبات كثيرة . ولم يستطع المهندسون في الفترة المحدودة التي أعطيت لهم تطهير أكثر من ستة ممرات ، بدلا من الستة عشر التي كانت مقررة في الخطة ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يعملون بمنتهى السرعة . وكانوا يتعطلون في كل دورة يقومون

بها لأن جنود المشاة كانوا يخوضون بينهم للوصول إلى الشاطئ . وكان بعض هؤلاء الجنود يهتمون وراء العقبات التي يريد المهندسون نسفها . وفي بعض الأحيان كانت الأمواج تدفع قوارب الجنود حتى توشك القوارب أن تمر فوق رؤوسهم . وفي بعض الحالات انفجرت القوارب انفجاراً شديداً ، وطار الجنود في الهواء ثم سقطوا في البحر وسط الركام المحترق . وحاول بعض الجنود السباحة وسط الجازولين الذي انتشر فوق سطح الماء ، وقد أصيب بعض الجنود بحروق شديدة .

وقد أثبتت وحدات المهندسين التي تقوم بتطهير الشواطئ أنهم أبطال ، فقد ظلوا يعملون رغم الأخطار التي تحيط بهم . وكان المهندسون يركبون قوارب من المطاط تحمل شحنات من قنابل البلاستيك ومواد قابلة للانفجار ولهذا فإن نيران العدو إذا أصابت أحد قواربهم ينفجر . وكان القناصة الألمان يصوبون بدقة نحو الألغام التي يحاول المهندسون رفعها ، قبل أن يبتعد المهندسون عنها ، ولهذا ففي نهاية اليوم فقد من المهندسين نحو نصفهم .

* * *

وفي الساعة السابعة صباحاً وصلت الموجة الثانية من القنارات الغازية إلى شاطئ « أوماها » ، وأصاب هذه الموجة ما أصاب الموجة الأولى . وعلى طول الشاطئ الهلالي الشكل كان القتلى من الأمريكيين يوشكون أن يغطوا سطح الماء . وتكدست فوق الشاطئ المهمات الثقيلة وصناديق

الذخيرة وأجهزة الراديو المهشمة وآلات التليفون وأقنعة الغاز ومعدات الخنادق والقبعات الحديدية ولفات من الأسلاك والحبال وصناديق المئونة وأجهزة كشف الألغام وعشرات من الأسلحة المختلفة . ويضاف إلى ذلك أن القوارب التي تدمرت رقدت على البر بجوار الدبابات التي احترقت وأخذت ترسل طبقات من الدخان الأسود ، كما رقدت الجمرات على جانبها وسط الموانع الكثيرة التي أقامها العدو على الشاطئ .

وعلى رمال الشاطئ رقد الجرحى في مجموعات . وكان الجنود يمرون عليهم ويرون ما هم عليه من الاستسلام التام ، كأنما بلغوا درجة لا يحسون معها بالآلام ، ولا يكادون يشعرون بما يجري حولهم . وقد وجد رجال الإسعاف أن عدد الجرحى كبير إلى درجة فوق طاقتهم ، وسرعان ما نفذت الأدوات الطبية التي كانت لديهم . وكان بين المصابين جندي صغير السن شقت ساقه من الركبة إلى العجز ، كأنما جراح قطعها بالمشربط ، وكان الجرح عميقاً حتى إن رجل الإسعاف رأى الشريان الكبير ينبض . وكانت صدمة الجندي عنيفة . ويقول رجل الإسعاف : « لقد استعملت كل ما كان معي من أقراص السلفا ، وألقيت في الجرح كل ما لدى من بودرة السلفا » . وأعطى المصاب بعضاً من المورفين ثم سوى الجرح ولم يجد لديه ما يقفل به الجرح إلا دبابيس المشبك . وقد حاول بعد ذلك أن يطمئن الجريح .

وجاءت خلال هذه الفوضى والاضطراب والموت موجة ثالثة من

الجنود ، وتوقفت . وبعد دقائق جاءت الموجة الرابعة . وهذه أيضاً توقفت . ووقد الجنود كتفاً إلى كتف ، منكمشين خلف الحواجز يحتمون بأجسام الموتى . وقد أذهلهم ما يرون حولهم من الحراب والفناء فقد تجمدوا فوق الشواطئ ، وكأنما قوة القاهرة شلت حركتهم .

وطغى على بعض الجنود شعور باليأس القاتل . وأيقنوا أنهم مغلوبون على أمرهم وأن اليوم قد ضاع سدى . وقد رأى أحد ضباط كتيبة الدبابات رقم ٧٤١ جندياً يرقد على حافة الماء دون أن يشعر بنيران المدافع الرشاشة التي تتناثر حوله في كل مكان وهو يلقي الأحجار في الماء . ويبكى بكاء يقطع نياط القلوب ولكن الصدمة الأولى لم تدم طويلاً ، فإن عدداً من الجنود هنا وهناك أدركوا أن البقاء على الشاطئ معناه الهلاك الأكيد ، فقاموا وبدءوا التحرك .

* * *

وعلى بعد عشرة أميال كانت الحال على شاطئ « يوتاه » أحسن منها على شاطئ «أوماها» فقد كان الجنود التابعون للفرقة الرابعة يصلون إلى الشاطئ ويندفعون إلى الداخل . وكانت الموجة الثالثة من قوارب الاقتحام في طريقها إلى البر ، ومع ذلك لم تكن هناك مقاومة كبيرة . وقد تلى الغزاة بعض القنابل ونيران المدافع الرشاشة ، ولكن لم يكن هناك شيء مما كانوا يتصورونه ، حتى إن بعضهم ظن أن العملية تبدو شيئاً عادياً ، وكأنها تدريب آخر للغزو كالتدريبات السابقة التي اشركوا فيها في أرض الوطن .

ولم يكن هناك من العوائق إلا عدد قليل من المخروطات المدببة والمثلثات والحواجز ذات الأشواك والألغام ، وكان معظمها مكشوفاً يستطيع المهندسون إزالته بسرعة ، وقد أدت وحدات التطهير عملها وتمكنت من تطهير الشاطئ في مدة ساعة واحدة .

وكان حظ الدبابات البرمائية أكثر توفيقاً في هذا الشاطئ فقد وصلت إلى البر وعليها قماشها متدلياً حولها . وكانت تلك الدبابات سبباً في نجاح الهجوم على هذا الشاطئ . فقد خرجت من الماء مع الموجة الأولى وخرج الجنود تحت حمايتها ، وكان الهجوم البحري والجوى مركزاً فزعزع القوات الألمانية . ومع ذلك فقد نال هذا الشاطئ نصيبه من الحسائر . ولاقى الجنود حظهم من الإصابات .

وعندما وصلت الموجة الثالثة ، وأخذ جنودها ينحوضون إلى الشاطئ ، بدأت المدفعية الألمانية ترسل قنابلها لتنفجر وسط الجنود ، فسقط عدد منهم . وفي ذلك الوقت لم يعرف إلا القائد وعدد من الضباط أن الجنود الذين نزلوا في « يوتاه » ، نزلوا في الواقع في غير مكانهم المحدد لهم . وكان ذلك في الواقع من حسن حظهم ، فقد نجوا من نيران المدافع الثقيلة التي كان من المحتمل أن تفنيهم . ويرجع هذا الخطأ إلى الارتباك الذي أحدثه الدخان الذي انتشر بسبب القنابل التي أطلقها الأسطول ، فقد أخفى هذا الدخان معالم المنطقة . يضاف إلى ذلك وجود تيار قوى من الماء يجري بجذاء الشاطئ ، كما كان الحال في شاطئ « أوماها » إلا أن تيار هذا

الشاطئ يجرى من الشمال إلى الجنوب ، ولهذا فإن قائد قارب الإشراف الذى كان يرشد الموجة الأولى أخطأ بنحو ميل إلى جنوب المكان المحدد له . ووقف البريجادير جنرال ثيودور روزفلت يشرف على نزول الجنود على هذا الشاطئ ، وهو يفكر فى القرار الذى يجب اتخاذه . وفى كل لحظة تجيء موجة بعد موجة من قوات الجيش ، ومن العربات والمعدات الأخرى . ويبلغ عدد الجنود الذين كان ينتظر مجيئهم إلى هذا الشاطئ نحو ٣٠,٠٠٠ وعدد العربات ٥٣٠٠ ، وعلى القائد أن يقرر هل يترك الدفعات القادمة تنزل فى هذا المكان ، وهو هادئ نسبياً ، أو هل يحول الجنود جميعاً بمعداتهم إلى الشاطئ الأصلى المقرر من قبل . وكان للشاطئ الأصلى ممران يوصلان إلى الداخل ، أما هذا الشاطئ الذى نزل فيه الجنود خطأ فليس له إلا ممر واحد . ولو أنهم عجزوا عن الاستيلاء على ذلك الممر الوحيد أو عن الدفاع عنه بعد الاستيلاء عليه ، فإن هذا الشاطئ يتحول إلى مصيدة فظيعة ، يحبس فيه الجنود ويقذفون إلى البحر . وبعد مناقشة بين قائد الكتيبة وقواده توصلوا إلى قرار ، وهو أنه يجب على الفرقة الرابعة شق طريقها بالقوة فى هذا الممر الوحيد، وأن يقاتلوا المواقع الألمانية حينما يجدونها . وقرروا سرعة الهجوم للاستيلاء على ذلك الممر ، وأرسلوا إشارة إلى الأسطول بأنهم سيبدءون الحرب من هذا المكان بدلا من المكان الأصلى . ومن سخرية القدر أنه فى تلك اللحظة كان البكباشى كول مع فرقة مختلطة من الجنود الذين هبطوا فى الليل بالمظلات وبالطائرات

الشراعية ، كانوا ينتظرون عند طرف الممر رقم ٣ الموصل إلى الشاطئ الأصلي ، وقد اختبأوا في المستنقعات ينتظرون جنود القسم الرابع وهم الذين نزلوا خطأ عند الممر رقم ٢ .

* * *

وللمدمرة « كورى » - وهى مدمرة أمريكية - قصة تستحق الذكر . كان موقعها أمام شاطئ « يوتاه » وكانت تطلق النيران بسرعة عظيمة ، حتى إن البحارة اضطروا إلى تصويب خراطيم المياه على أسطوانات المدافع لتقليل حرارتها . وكانت تطلق ثمانى طلقات كل دقيقة . وكان العدو يرد النيران وهو لا يستطيع أن يرى من السفن الحربية إلا كورى ، فقد كان للسفن الأخرى طائراتها التى ترسل حولها الدخان ، ولكن كورى فقدت طائراتها ، ولهذا ظلت مكشوفة أمام بطاريات العدو القابعة على الشاطئ فوق تل يشرف على البحر . وقرر قائد المدمرة أن ينسحب قبل فوات الأوان .

ولكن المدمرة كانت فى مياه ضحلة وبقرتها توجد صخور حادة ذات أسنان كالسكاكين . ولم تستطع السفينة الهرب من نيران العدو ولم تستطع النجاة من خطر الصخور . واضطر قائدها أن يحاور الألمان كما يحاور الفأر القط . وذلك أنه قبل أن يستطيع الألمان إطلاق نيرانهم قام بمناورة فاندفع إلى الأمام ثم انحرف إلى الخلف ودار ناحية اليسار ثم ناحية اليمين ، ثم وقف مكانه ، ثم اندفع إلى الأمام مرة أخرى ، وكانت

مدافعه طول الوقت تضرب العدو . وكان بالقرب منه مدمرة أخرى ولما رأَت الخطر المحقق بالمدمرة كورى أخذت تضرب النار على مدافع العدو ولكن الألمان لم يتحولوا عن المدمرة كورى ، التي ظلت تهرب من مرمرى قنابل الألمان ، وهي تندفع بسرعة فائقة . ولكن الحظ خانها فإنها اصطدمت اصطداماً مباشراً بلغم بحرى مغمور تحت مياه البحر .

وقد شق اللغم كورى نصفين ، وارتفع مقدم السفينة ومؤخرها ، وامتلأت حجرة الموقد وحجرة الآلات بالماء ، وانفجرت الغلاية واحترق البحارة . . هناك فقدت المدمرة كل قدرة على الحركة ، ومع ذلك استمرت مدافعها تطلق نيرانها . وعند ذلك صوب الألمان نحوها تسعة قنابل فانفجرت ذخيرتها وانفجر جهاز توليد ستار الدخان ، وأوشك البحارة على الاختناق ، وهم يحاولون النجاة بأنفسهم ، عندما صدر الأمر بمغادرة المدمرة . وكان البحر قد غطى السطح الرئيسي للسفينة بالماء . وقتل من البحارة ثلاثة عشر وأصيب ثلاثة وثلاثون . وعندما قفز القائد هوفان إلى البحر كان متأكداً أنه لم يبق في المدمرة أحد . ولكن بعد أن بعدت القوارب والعائمات التي تعلق بها البحارة ، وهم يسبحون ، شاهد بعض البحارة على السفن الأخرى بحاراً فوق مؤخر المدمرة يرفع العلم الذي كانت القنابل قد أسقطته ، ثم يتسلق حتى يبلغ الصاري الرئيسي رغم القنابل التي كانت تنطلق حوله . وفي هدوء يعلق الرجل العلم ويرفعه فوق الصاري وبعد ذلك يسبح بعيداً تاركاً المدمرة يرفرف فوقها العلم . استقرت كورى

على القاع ولكن بعض قلاعها وأسلاكها بقي ظاهراً فوق سطح الماء .

* * *

وخلال هذه الفترة ، اتجه الهجوم البحري الأمريكى الثالث إلى موقع بين شاطئ يوتاه وشاطئ أوماها ، وهو موقع يعرف باسم « بوانت دى هُك » . واستخدم الأمريكيون الصواريخ التى تجر معها الحبال إلى أعلى قمة فى تلال الشاطئ الصخرية ويبلغ ارتفاعها نحو مائة قدم . وكان يتقدم الهجوم ثلاث وحدات (سرايا) من الرانجرز^(١) شرعوا يتسلقون إلى قمة المنحدر الصخرى لكى يصلوا إلى البطاريات الألمانية الشاطئية الضخمة التى كانت تهدد الشواطئ الأمريكية من الجانبين . وفى ذلك الوقت احتفى عدد كبير من الرانجرز ببعض التلال الصخرية وبذلك استطاعوا إلى حد ما النجاة من المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية التى كان الألمان يلقونها عليهم . وعلى بعد من الشاطئ كانت هناك مدمرتان تطلقان القنابل باستمرار صوب القمة .

وكان المفروض أن يصل جنود الرانجرز إلى هذا الشاطئ فى ساعة الصفر (٦,٣٠ صباحاً) ولكنهم ضلوا طريقهم وضاع منهم وقت نفيس . وقد كلفهم ذلك ضياع النجدة التى كان مفروضاً أن تصلهم وعددها ٥٠٠ جندي . وكان المفروض أن يقوم قائد الوحدة ورجاله بتسليق التلال

(١) جنود الرانجرز (Rangers) جنود يحصلون على تدريب خاص للقدرة على القتال

ثم يطلقون إشارة بالمشاعل دليلاً على نجاحهم في مهمتهم . وعند ذلك تتبعهم إلى الشاطئ تلك النجدة ، وكان المقرر أن يتم ذلك في الساعة السابعة صباحاً . وإذا لم تطلق الإشارة المتفق عليها فمعنى ذلك أن وحدة الرانجرز قد فشلت في تسلق تلك القمة ، وعند ذلك تتجه النجدة إلى شاطئ أوماها على بعد أربعة أميال ثم تنحرف غرباً حتى تصل إلى قمة پوانت دى هُك للاستيلاء على المدافع الألمانية من الحلف . وقد انتظر جنود النجدة إلى ما بعد الساعة السابعة بعشر دقائق وبعد ذلك اتجهوا إلى شاطئ أوماها .

وقد كافح رجال الرانجرز بقيادة اللفتنانت كولونيل « جيمس رادر » ، وكان الألمان يقذفونهم بالقنابل اليدوية ويصوبون عليهم نيران المدافع السريعة الطلقات . ونجح الرانجرز بصعوبة في الهرب من مخبأ إلى مخبأ ، بعد أن أفرغوا ما في قواربهم وجروا جميعاً في لمح البصر إلى المنحدر في وقت واحد وهم يجرون سلماً من السلام التي يتزايد طولها استعاروه من محطة مطافئ لندن ، وبواسطته استطاع الرانجرز أن ينسفوا المعادل الألمانية فوق القمة باستخدام بنادق براوننج الأوتوماتيكية ومدافع تومى .

وقد كان الهجوم عنيفاً ، ولم ينتظر بعض الرجال حتى تثبت الحبال التي شبكتها الصواريخ في القمة ، بل حملوا أسلحتهم فوق أكتافهم وشقوا طريقهم صاعدين جانب التل ، وهم يحفرون مواطن أقدامهم بالسكاكين ، وصعدوا على جانب التل فبدوا كأنهم ذباب منتشر .

وبعد أن استقرت الحطافات أسرع الرجال يتسلقون الجبال . ولكن الألمان كانوا يقطعونها فيقع الرجال إلى الأرض . وقد نجح الجنود الذين استخدموا سلم الحريق في صب نيران مدافعهم على الألمان . وبعد جهاد تمكنوا من بلوغ القمة واحتموا في الحفر التي امتلأت بها المنطقة من أثر انفجار القنابل .

وأخيراً عثر « رادر » على مكان يحتمى به رجاله في قمة التل . ومن هذا المكان أرسل الإشارة الآتية: « شكراً لله » وكان ومعناها أن جميع الرجال قد صعدوا سالمين إلى القمة . وكان الطبيب الحربى لا يزال على الشاطئ يعالج الجرحى وقد بلغ عددهم في الصباح نحو خمسة وعشرين . وكان عدد رجال قوة الرانجرز هذه ٢٢٥ ، وأخذت في كل لحظة تمر تفقد بعض رجالها . وفي نهاية اليوم لم يبق من القوة صالحاً لحمل السلاح إلا تسعون . ولكن أسوأ ما في الأمر ، أن هذا العمل البطولى الذى قامت به قوة الرانجرز كان مجهوداً ضائعاً . لقد هجموا على « پوانت دى هُك » ليدمروا مدافع لم يكن لها وجود . وكان رئيس أحد قطاعات المقاومة السرية قد حاول أن يبلغ لندن أن الأبراج القائمة فوق هذا المكان كانت خالية لأن المدافع لم توضع بها مطلقاً .

* * *

وفي هذا الصباح الرهيب بدأت المرحلة الأخيرة من الهجوم البحرى . وعلى طول النصف الشرقى من شاطئ الغزو فى نورمندى أخذ الجيش

البريطاني الثاني بقيادة اللفتنانت جنرال دمبسي ينزل إلى البر بوجه مكفهرة وبذلك البرود والتظاهر بالعظمة مما يتخذه البريطانيون وفق تقاليدهم في الساعات الرهيبة . لقد انتظروا أربع سنوات طوال ليروا هذا اليوم فلم يكونوا يريدون اقتحام هذه الشواطئ فحسب ، ولكنهم يقصدون الثأر لذكريات ميونخ وذكرك المريرة ، والهزائم المتتالية المخزية التي حلت بهم ، والأيام المظلمة التي ذاقوا مرارتها . واليوم ينضم إليهم الكنديون ليثأروا لمذبحة ديب ، والفرنسيون ليستردوا كرامتهم وهم على أحر من الجمر ينتظرون العودة إلى وطنهم .

وما إن وضع الكوماندوز أقدامهم على الأرض في شاطئ «السيف» ، حتى نادى قائدهم لورد لوفات : « أسمعنا يارجل من موسيقى الجبال » . وبينما كان الزمار غارقاً في الماء إلى وسطه ، أخرج قربته ذات الزمار ووضع فيها على فمه وظل ينفخ من موسيقى القرب حتى وصل إلى حافة الماء ، وهو لا يعير زيران العدو اهتماماً . وعندما بلغ الشاطئ أخذ يدور حوله وهو يحيي الكوماندوز ويدعوهم للإقدام ، وهو ينفخ نشيد « الطريق إلى الجزر » The Road to the Isles وصرخ بعضهم : « اختبي أيها المحنون ! »

وعلى طول الشاطئ ، مسافة عشرين ميلاً ، من أوسترهام قرب مصب نهر أورن ، إلى قرية « لي هامل » في الغرب ، تدافع البريطانيون إلى الشاطئ رغم المتاعب الكثيرة بسبب الأمواج الشديدة واستحكامات

الشواطئ ونيران المدافع . وتقدمت جماعة الضفادع البشرية وكانوا ١٢٠ من خبراء التطهير تحت سطح الماء ، وعليهم أن يشقوا طريقاً عرضه ٣٠ ياردة محترقاً العقبات التي بها العدو . وعليهم أن ينهوا من ذلك في مدة لا تزيد على ٢٠ دقيقة . وكانت العقبات فظيعة ، وفي بعض الأماكن كانت أكثر كثافة منها في أية أماكن أخرى من منطقة الغزو كلها . وكانت العقبات عبارة عن أبراج وبوابات ومصائد قنقذية ومخاريط وكلها من الصلب والإسمنت المسلح . وقد وجد الخبراء في مسافة الثلاثين ياردة التي كان عليهم أن يطهروها ، ما لا يقل عن اثني عشرة عقبة كبيرة بعضها يبلغ ١٤ قدماً . وكانت الاستحكامات معقدة بشكل عجيب . وظل الخبراء يعملون تحت نيران العدو وقد نسفوا العقبات واحدة بعد واحدة لأنهم لم يستطيعوا تفجير مجموعات منها في وقت واحد . وقبل أن يتموا عملهم كانت سفينة الموجة الأولى وبعض الدبابات البرمائية تمر بجوارهم وقد اصطدمت بعض السفن بالألغام وانفجرت ، أو وقعت في خوازيق الصلب والقنائد ذات الآلات القاطعة . وكانت القوارب المصابة تمتلئ بالماء وتغرق ويسقط بعضها فوق بعض .

وحدث مثل ذلك في الشاطئين الآخرين « جولد » ، « جونو » فاصطدمت القوارب بالألغام ، وفقد عدد من السفن ، وتعطل عدد آخر ، وسبح الجنود إلى البر والمدافع الرشاشة تحصدهم . وفي القسم الغربي من شاطئ « جولد » فقدت كتيبة بريطانية عدداً كبيراً من جنودها وهم

يخوضون الماء على عمق بين ثلاثة وستة أقدام . واكتسحتهم نيران المدافع المصبوبة من حصن « لى هاميل » الذى كانت تحتله قوة ألمانية من الرجال الأشداء . وقضى جنود الكتيبة البريطانية ثمانى ساعات يكافحون تلك الاستحكامات حتى دمروها . وفى نهاية اليوم بلغت خسائرهم ٢٠٠ بين قتيل وجريح . وقد وجد البريطانيون والكنديون أن القوة الألمانية فى المنطقة بوجه عام ليست بالقوة التى كانوا يتصورونها . وكان الجيش الألمانى مكوناً أكثره من فرق من الروس والبولنديين الذين جندوا قسراً . وقد استغل البريطانيون مالدتهم من دبابات وعربات مصفحة إلى أقصى حد . وكانت الدبابات تحمل سلاسل من الصلب تضرب بها الأرض أمام الدبابة حتى تفجر ما بها من ألغام . وبعض العربات المصفحة كانت تحمل قناطر صغيرة ولفافات طويلة من الصلب المشغول كالحصير . وعندما يفردونها تصنع طريقاً للدبابات فوق الأرض اللينة . وبعض العربات كانت تحمل حزمًا ضخمة من كتل الخشب ليصنعوا ممرات لعبور الأسوار والحفر المضادة للدبابات . يضاف إلى ذلك أنه كان هناك ضرب مستمر بالقنابل من البحر والجو لوقاية قوات الهجوم .

ومع ذلك فقد كانت هناك جيوب قوية للمقاومة . فى قسم من شاطئ « جونو » ، لقيت الفرقة الثالثة الكندية مقاومة عنيفة ، وقد حارب الألمان من الخنادق والاستحكامات المحصنة . واضطر الكنديون إلى القتال داخل مدينة كورسيل من شارع إلى شارع . وقد رأى أحد البحارة

البريطانيين بعض الجنود الكنديين يسوقون أمامهم ستة من الأسرى الألمان إلى ما وراء تل من الرمال . وكان البحار يتمنى الحصول على قبعة ألمانية تذكّاراً لهذه المعركة ، ولهذا جرى وراءهم ولكنه وجدهم مكومين فوق الرمال . ومال البحار نحو أحدهم فوجده مذبوحاً كباقي الستة الآخرين مثله ، وعاد مسمئزاً لأنه لم يحصل على القبعة !

وفي كورسيل أسروا اثني عشر من الألمان خرجوا من خندقهم رافعين أيديهم فوق رؤوسهم . وكان الشاويش رئيس الوحدة التي أسرتهم يود لو يثار لأخيه الذي قتل في شمال أفريقية . وأوقف الشاويش الأسرى في صف وقال لرفقائه : « انظروا إلى هذه الوجوه الكالحة ، ابعدهم عن نظري » . وثار غضبه ثم جلس يعد لنفسه قدحاً من الشاي ليهدئ نائرة نفسه . وبينما هو كذلك جاء ضابط الفرقة ، وهو شاب صغير السن وقال للشاويش الذي قضى إحدى وعشرين سنة في خدمة الجيش : « يا شاويش ليس هذا وقت إعداد الشاي » . ورفع الشاويش رأسه ، وأجاب بهدوء : « سيدى ، نحن الآن لانظر إلى لعبة الرتب العسكرية . إن هذه حرب حقيقية ، فلماذا لاتعود بعد خمس دقائق ، وتشرب معى كوباً ظريفاً من الشاي ؟ » وذهب الضابط ، ثم عاد وشرب الشاي مع الشاويش .

واستمرت حركة نقل الجنود والمعدات والمدافع والدبابات والعربات . وكان لكل شاطئ ضابط مشرف برتبة كابتن (يوزباشى) وكان شاطئ

جونو أكثر الشواطئ البريطانية خسائر . وقد كانت خسارة الكنديين جسيمة . وقد تأخروا في النزول بسبب هياج البحر ، وكان شاطئهم كثير الصخور مليئاً بالعقبات والألغام . ولم تستطع القنابل التي تطلقها السفن الحربية والطائرات تدمير معظم استحكامات الشاطئ . وفي بعض الأماكن تعرض الجنود لنيران شديدة حتى إن بعض الوحدات فقدت نصف رجالها .

ولو أن القتال كان عنيفاً ، إلا أنه لم يدم طويلاً . وفي أقل من ثلاثين دقيقة كان الكنديون والكوماندوز قد عبروا الشاطئ إلى الداخل . ولما جاءت الموجات التالية كانت المقاومة الألمانية قد انتهت ، وأصبحت الشواطئ هادئة . ولكن خلف الشواطئ احتدم القتال العنيف . واستمر الجنود يقاتلون ساعتين حتى استولوا على معظم القطاع . وكان معظم القتال في شوارع المدن . وقد قاتل الكوماندوز من الفرقة ٤٨ في بلدة سانت أوبين ، ثم اتجهوا نحو الشرق بجذاء الشاطئ وكانت مهمتهم أن يسدوا الثغرة التي تقع بين شاطئ جونو وشاطئ السيف وهي مسافة سبعة أميال . وقد قابلت هذه الفرقة منطقة شديدة التحصين عند مدينة لانجرون ، وكان كل منزل فيها كأنه حصن منيع ، وسدت جميع الشوارع بالألغام والأسلاك الشائكة وغير ذلك من الابتكارات الحربية . وكانت النيران تطلق من تلك المنازل بشدة . ولم يكن مع المهاجمين دبابات أو مدافع كبيرة ، ولهذا اضطروا إلى أن يلزموا أماكنهم .

وهبطت مجموعة أخرى من الفدائيين (رقم ٤١) عند بلدة « ليون على البحر » ، على شاطئ « السيف » . وعندما وصل الكوماندوز إلى طرف المدينة أخذت المدافع الألمانية تضربهم حتى دمرت ثلاثة من دبابتهم . وكانت النيران تطلق عليهم من فيلات تبدو بريئة المظهر ، وقد حولها الألمان إلى استحكامات بها مدافع رشاشة ومدافع الهاون . وحدث لهذه المجموعة ما حدث لسابقتها ، إذا اضطرت إلى البقاء في أماكنها . وكانت مدينة ليون على البحر ، أحد المواقع القليلة التي سببت المتاعب الحقيقية على ذلك الشاطئ .

وبدا للبريطانيين في أول الهجوم أن المقاومة ستكون أعنف ما يتصور . وفي الدقائق الأولى سقط نحو مائتي قتيل وجريح عند شاطئ بلدة أويسترهام وحدها . بعد الموجة الأولى ضعفت المقاومة الألمانية وكانت الشواطئ مستورة بالدخان . وظل المرضون يعملون وسط الجرحى ، وكانت الدبابات تضرب الأرض بالمضارب المعدة لتفجير الألغام ، ولكنهم لم يقابلوا في أية بقعة من منطقة شاطئ « السيف » المحاصر التي كانوا ينتظرونها . وفي كثير من أنحاء المنطقة البريطانية ، كانت هناك أفراح كأنما الناس في عيد . وأقبل الفرنسيون يرحبون بالجنود ويعانقونهم ، وقد نسوا ما يحيط بهم من الأخطار . وقد حضر عمدة بلدة « كولفيل ، على نهر أورن » وقدم لقوات الحلفاء التحية الرسمية .

وبالرغم من الفوضى في شواطئ جولد وجونو والسيف (من الغرب إلى الشرق) ، فإن البريطانيين والكنديين تقدموا نحو الداخل جماعات بعد جماعات ، وكان التقدم منتظماً . وبينما كان الجنود يحاربون في المدن والقرى ، كانت هناك أمثلة من البطولة الرائعة . ويذكر بعضهم منظر أحد كوماندوز البحرية ، الذي فقد ذراعيه في الحرب ، وكان يحث رجاله ويصرخ فيهم : « أسرعوا إلى الأمام أيها الرفاق ، قبل أن يتنبه ” فريتز “ (أى الألمان) إلى هذه الحفلة » ويذكر آخرون منظر الجرحى وهم ينتظرون نقالات الإسعاف ، وكانوا يلوحون لرفاقهم ، ويصرخون : « نلتقي في برلين » .

وكان أهم شيء هو السرعة . وقد اتجهت الفرق من شاطئ جولد إلى مدينة « بايو » ذات الكاتدرائية على بعد نحو سبعة أميال إلى الداخل . ومن شاطئ جونو اتجه الكنديون إلى الطريق العام بين كاين وبايو ، ثم إلى مطار كاربيكيه على بعد عشرة أميال وأسرع الكوماندوز من شاطئ السيف بقيادة لورد لوفان متجهين إلى الداخل ، لنجدة الجنرال « جيل » وجنوده الذين هبطوا من الجو ثم استولوا على جسر أورن وكاين على بعد أربعة أميال . وفي ذلك الوقت كان الزمار يمشى وأمام الطابور خلف إحدى الدبابات وهو ينفخ الموسيقى الأسكتلندية : “ Blue Bonnets over the Border ” أى القلانس الزرقاء تسير على الحدود . . .

* * *

وانتهى يوم الغزو بالنسبة لعشرة من المقاتلين البريطانيين ، وهم بحارة الغواصتين الحنفتين س ٢٠ وس ٢٣ . وشقت الغواصة س ٢٣ طريقها بصعوبة وسط قوارب الجنود . وبينما كان البحر هائجاً كان سطح الغواصة مغموراً بالماء ، ولا يظهر منها إلا أعلامها مرفوعة في الهواء . وقد ذهل بعض الجنود وهم يشاهدون علمين كبيرين يتحركان فوق الماء دون أن تكون هناك سفينة . وعندما مرت بهم الغواصة قال أحد الجنود : «عجباً هذه الحنفسة ، ما شأنها بالغزو ؟ » وشقت الغواصة طريقها وسط قوارب النقل ، وهي تبحث عن السفينة التي ستجرها ، وهي سفينة صيد . أما المهمة التي قامت بها هاتان الغواصتان فتعرف باسم عملية « جامبت »^(١) وقد أتمت الغواصتان مهمتهما بنجاح ، ويحق لرجاهما الآن أن يعودوا إلى الوطن . وقد ساعدت الغواصتان على تحديد مناطق الغزو ، وبذلك تمكن الجنود من إحداث ثغرات في حائط الأطلنطي نفذوا منها إلى الأرض الفرنسية .

٣ - برختسجادان

رقدت برختسجادان في ذلك الصباح الباكر في سكون وهدوء . وكان اليوم دفيئاً رطيباً . وساد السكون في المقر الشخصي لهتلر ، وهو القلعة

(١) « Cambit » الجامبت هي من حيل لعب الشطرنج ، وذلك أن اللاعب في أول الدور يضحى بقطعة صغيرة في سبيل كسب الأكبر .

الجبلية المقامة فوق جبل أوبر سالزبورج . وكان الفوهرر لا يزال نائماً . وعلى بعد أميال قليلة كان مقر القيادة العليا لهتلر . وقد استيقظ الجنرال يودل رئيس العمليات الحربية في مقر القيادة العليا ، في الساعة السادسة صباحاً ، وتناول فطوره العادى الخفيف . وفى ذلك الوقت كان فى مكتبه الصغير ، يجدارنه عازلة الصوت ، منهمكاً فى قراءة تقارير الليلة السابقة يتصفحها فى هدوء .

استمرت الأخبار السيئة تأتى من إيطاليا ، فقد سقطت روما منذ ٢٤ ساعة فى يد الحلفاء ، وانسحبت قوات الفيلد مارشال كسلرنج تحت ضغط شديد من العدو . وقلقت القيادة العليا أشد القلق بسبب انهيار المقاومة الإيطالية . وكان من المقرر أن يرحل أحد القواد الألمان إلى إيطاليا ليتحرى حقيقة الموقف بها

أما عن الاتحاد السوفيتى . فليس هناك شىء جديد عنه ، سوى أن الهجوم الصينى السوفيتى قد يبدأ فى أى وقت . وعلى طول الجبهة التى تبلغ ألى ميل حيث يقف مائتان من فرق الجيش الألمان تعدادها أكثر من مليون ونصف مليون جندى ، وهم على استعداد لصد كل هجوم . وفى هذا الصباح كانت الجبهة السوفيتية فى هدوء . ووصلت إلى القيادة العليا عدة تقارير من فون رونديشتدت وكان رأى يودل رئيس العمليات الحربية أن الموقف فى الغرب لم يصل بعد إلى درجة من الخطورة تدعو إلى القلق .

وحدثت مناقشة بين يودل ونائبه الجنرال فالتر فارليمونت الذي سبق أن كلفه بالسفر إلى إيطاليا للحصول على المعلومات الصحيحة عن الموقف فيها . وذكر فارليمونت الرسالة اللاسلكية التي تلقاها من فون روندشتدت التي يطلب فيها دعوة قوات الاحتياطي من الپانزر للقتال في نورمندي وقد رأى يودل أن الميدان الغربي به من الاحتياطي ما يكفيه حينذاك وأن الوقت لم يحن بعد لإطلاق قوات الپانزر . . وقد يكون الهجوم في نورمندي خدعة حربية لتحويل الأنظار عن منطقة الهجوم الحقيقي . ورفض يودل أن يقرر شيئاً ، لأن موضوع إطلاق الپانزر من اختصاص هتلر وحده .

وفي هذا الوقت كان رومل في مسكنه في مدينة « أولم » على بعد ساعتين بالسيارة من برختسجادن . ويبدو أن رومل لم يسمع شيئاً عن نزول الحلفاء في نورمندي حتى الصباح . وفي مقر قيادة رومل في لاروش جويون ، لم يعرف أركان حربيه ، شبيدل ، شيئاً عن قرار يودل ، وظن أن جنود الپانزر في طريقهم إلى نورمندي ، ولكن سيمر بعض الوقت قبل أن تصل الدبابات ، وكان هناك جو من التفاؤل ، وكانوا يقولون إنهم سيردون الحلفاء على أعقابهم قبل نهاية اليوم .

ومما دعا إلى التفاؤل بوجه خاص ، بعض التقارير التي وصلت إلى مقر قيادة الجيش السابع ، وهو الجيش الذي يقوم بصد هجوم الحلفاء ، وقد جاء في أحد هذه التقارير أن الفرقة ٣٥٢ ألفت بالمهاجمين إلى

البحر ، في المنطقة الواقعة بين فيرفيل وكولفيل ، وهي منطقة شاطي « أوماها » .
وقد وردت تفاصيل تشير إلى تدمير عربات العدو ودباباته ، وإلى أن
فرق تطهير الشاطي من العوائق قد كفت عن إنجاز عملها ، وإلى توقف جنود
العدو عن النزول إلى البر ، وإلى العدد الكبير من القتلى والجرحى الذين
يغطون سطح الماء ورمال الشاطي .

وقد تعذر على رئيس أركان حرب الجيش السابع ، جنرال « بمسل »
الحصول على المعلومات الصحيحة لأن مواصلاته التليفونية انقطعت ،
بنقل رجال المقاومة السرية الفرنسيين و جنود المظلات الذين قطعوا
الأسلاك . واستمر بمسل يحاول أن يقنع رؤساءه في مقر قيادة رومل
ومقر قيادة فون روند شتدت بخطورة الموقف ، ولكنه لم يفلح ، فإنهم
أصروا على أن الوقت لم يحن بعد للتأكد من نوع الهجوم . واستمر القواد
يتطلعون إلى مكان الهجوم الرئيسي ، ولكن أي جندي عادي من جنود
نورمندي كان يستطيع أن يدلهم عليه .

* * *

وعلى بعد نصف ميل من شاطي « السيف » . وكان الشاويش
الألماني « هيجر » يرتعد رعباً ، فقد كانت الأرض تنفجر حوله في كل
مكان . لقد قاتل قتالا عنيفاً ، ونجح في تغطية انسحاب سريته . لقد راقب
الإنجليز وهم يصلون إلى الشاطي ، ثم قتلهم واحداً بعد واحد ، و جنوده الآن
يحتمون في خندق وتحاصرهم مدافع العدو وبناذقه ، وليس لهم إلا التسليم

أو الموت . ولكن الكابتن الألماني الذي يرأسهم لن يسلم فهو يصرخ فيهم
« يجب أن نثبت ! »

وقد شاهد الجنود دبابتين قادمتين نحوهم وقفت إحداهما ،
بينما استمرت الأخرى في السير . ورآها الألمان وهي تستعد لإطلاق النار
عليهم من هذا المكان القريب . ولكن في تلك اللحظة انفجرت الدبابة
فقد صوب عليها أحد الجنود الألمان من الخندق صاروخاً أصابها إصابة
مباشرة . ورأى « هيجر » كوة الدبابة تفتح ويخرج من بين الدخان
رجل يصرخ ، وقد اشتعلت النار في ملابسه ، ولكنه عجز عن الخروج ،
وعند ذلك تدلى جسمه على جانب الدبابة واحترق . قال هيجر لرفيقه :
« أدعو الله ألا نموت هذه الميته ! »

أما الدبابة الأخرى فقد وقفت على بعد لاتصل إليه الصواريخ
وأخذت تطلق النار . وأخيراً أمر الضابط الألماني الجنود جميعاً بالدخول
إلى خندق كان عبارة عن حجرة لا تزيد على حجم حجرة عادية . وكانت
مملوءة بالقتلى والجرحى فوجدوا بها أكثر من ثلاثين جندياً آخرين ،
قد حشروا حتى إنهم لا يستطيعون الجلوس أو التحرك . واستمر الضابط
الألماني يطلق النار من مدفعه دون اهتمام ببدء الجنود بالتسليم .

ومرت لحظة من السكون ، وسمع هيجر والرجال الآخرون الذين
يوشكون أن يخنقوا ، سمعوا صوتاً ينادى : « لا بأس يا هرمان ، يحسن أن
تخرج الآن » . وغضب الضابط الألماني وواصل إطلاق مدفعه الرشاش ،

وبعد دقائق سمعوا الصوت ينادى مرة ثانية « خير لك أن تسلم يا فريتزا ! » واشتد بالرجال السعال بسبب الغازات اللاذعة التي تنطلق من المدفع الرشاش وتفسد هواء الحجرة ، وكلما توقف الضابط لكي يضع ذخيرة جديدة في مدفعه تكرر النداء بالتسليم .

وتوقف إطلاق النار من الخارج ، وأدرك هيجر والآخرين في الحال ما ينتظرهم . كان في أعلى الحندق فوق رؤوسهم فتحة صغيرة ، فرفعوا رجالاً ليخرج رأسه وينظر ما هنالك . فجأة صرخ الرجل : « قاذفات اللهب ! إنهم يجلبون قاذفات اللهب » . ولكن هيجر يعرف أن اللهب نفسه لا يمكن أن يصل إليهم أبداً ، لأن طريقة إعداد ممر الهواء الذي يقع في خلف الحجرة لا تسمح بدخول المشاعل ، ولكن الحرارة الشديدة يمكن أن تقتلهم . وفجأة سمعوا صوت قاذفات اللهب . ولم يكن هناك منفذ لتلك الحجرة إلا تلك الفتحة الصغيرة التي ينفذ منها المدفع الرشاش الذي لا ينفك الضابط يطلقه باستمرار ، وغير الفتحة الصغيرة في أعلى السقف . وأخذت الحرارة تشتد ، وذعر بعضهم ذعراً شديداً . وجعلوا يصرخون : « يجب أن نخرج » وكان الجميع يطلبون التسليم . وصرخ فيهم الضابط قائلاً : « هذا مستحيل ، يجب أن نشق طريقنا بالقتال ، وليستعد كل منا » . وثار الرجال وهم يشدون أقفال بنادقهم ويلقونها على الأرض . وانهار كثير من الرجال من شدة الحرارة ، ومال كل على جاره إذ لم يكن هناك مكان للرقاد على الأرض .

وفجأة توقف الضابط عن إطلاق النار ، والتفت إلى عامل اللاسكى وسأله : « هل هناك اتصال؟ » وأجاب العامل : « لا يوجد أى اتصال ، ياسيدى » . وفى تلك اللحظة فقط ، نظر الكابتن إلى من حوله ، وكأنما لم يرههم قبل هذه اللحظة . بدا عليه كأنه تائه وفجأة ألقى المدفع ، وقال مستسلماً « افتح الباب » . وأخذ أحدهم بندقيته وعلق عليها قطعة من القماش الأبيض ، ورفعها إلى أعلى . وسمعوا صوتاً من الخارج يقول : « لا بأس اخرجوا واحداً واحداً » .

ترنح الرجال وهم يخرجون من الخندق المظلم إلى الضوء وكان إذا تأخر أحدهم فى إلقاء سلاحه وقبعته إلى الأرض فإن الجنود البريطانيين الذين يقفون على الجانبين يطلقون النار إلى الأرض خلفه . وبعد ذلك ساقهم البريطانيون إلى الشواطئ ، وبعد خمسة عشر دقيقة ، كان الأسرى يعملون فى إزالة العقبات المبتوثة على الشاطئ وفى رفع الألغام . وقال أحد الأسرى لرفيقه : « أراهن أنه لم يخطر ببالك أبداً عندما كنا نضع هذه الألغام ، أن سيأتى اليوم الذى ترفعها بيدك مرة أخرى » .

* * *

وعلى بعد عشرة أميال من هذا المكان ، قرب كاين ، كان الجندى « ثويت من الوحدة الألمانية اللاسلكية المتحركة يبحث عن وسيلة يسلم بها نفسه . لقد عاش ثويت سبعة عشر عاماً فى شيكاجو ، ولكنه لم يتمكن من الحصول على الجنسية الأمريكية . وفى سنة ١٩٣٩ كانت

زوجته الألمانية تزور أهلها في ألمانيا . وهناك اضطرها مرض أمها إلى التأخر عن العودة إلى أمريكا . وفي سنة ١٩٤٠ ضرب ثوبت عرض الحائط بنصائح أصدقائه ، وسافر ليعود بزوجه . ولما كان من الصعب عليه أثناء الحرب أن يصل إلى ألمانيا بالطرق العادية ، فقد اتخذ طريقاً ملتوية ، فعبر المحيط الهادى إلى اليابان ومنها سافر إلى فلاديفستك ، وعبر القارة الآسيوية بخط حديد سيبريا ، حتى وصل إلى موسكو ، ومنها سافر إلى بولندة وألمانيا ، واستغرقت رحلته أربعة أشهر ، وما إن عبر الحدود حتى منع من الخروج . ووقع هو وزوجه في المصيدة .

والآن بعد أربع سنوات أصبح يستطيع أن يسمع الأصوات الأمريكية في سماعته ، ولكن وحدته كانت لا تزال بعيدة عن خطوط القتال . لقد أوشك أن يتم رحلته حول الأرض لكي يعود إلى شيكاغو . ولكن كل ما يستطيعه الآن هو أن يجلس في عربة اللاسلكى ويستمع إلى الأصوات التى تأتى إليه من بُعد قليل ، وهى الأصوات التى يعرف فيها موطنه .

وخلف شاطئ أوماها تركنا الملاجئ بلوسكات يرقد في حفرة ، وقد فقد خوزته وتمزقت ملابسه وجرح في وجهه . لقد ظل بلوسكات بعد أن خرج من الخندق في سانت هونورين ، أكثر من ساعة ونصف ساعة يحاول العودة إلى مقر القيادة . وقد ظل يزحف فوق أرض تلهب بالمفرقات إذ كانت عشرات المقاتلات تطير ذهاباً وإياباً ، تقتل كل ما يتحرك

على الأرض . وكانت قنابل الأسطول تحرث الأرض حرثاً . وفي أثناء زحفه وسط الدخان الذي يملأ كل مكان رأى حفراً لا تحصى مملوءة بالقتلى .

ظل يزحف على بطنه مسافة ميل وبقى عليه ثلاثة أميال قبل أن يصل إلى مقره في إيترهام . ورأى أحد المساكن من بعد وقرر أن يقفز المسافة الباقية عندما يقترب ويطلب من أهل المنزل جرعة ماء ، وعندما اقترب أدهشه أن يرى سيدتين فرنسيتين تجلسان في سكون في مدخل المنزل ، وكأنهما لا تشعران بخطر . ونظرتا إليه وقالت إحداهما في صوتها ضحكة تدل على الحقد الدفين : « هذا فظيع أليس كذلك ؟ » فركبهما بلوسكات والضحكات ترن في أذنيه . وفي تلك اللحظة شعر بكره للفرنسيين وللنورمنديين وهذه الحرب بكل فظائعها .

* * *

وفي غابة قرب كارنتان على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من شاطئ يوناه ، كان الشاويش « ونش » من فرقة المظلات الألمانية يسير مع بعض رفاقه . وفجأة رأى مظلة معلقة في شجرة مرتفعة ، وقال لأحد زملائه : إنها مظلة أحد الأمريكيين ، فقال الآخر لا بد أن بها شيئاً من الذخيرة . وظن الثالث أن ما بها قد يكون طعاماً وهم جائعون . وقال لهم « ونش » انتظروا في أماكنكم . فقد يكون هناك كمين لإيقاعنا .

وبعد أن نظر ونش حوله جيداً ، وتأكد أن كل شيء هادئ ، أسقط الشجرة بقنبلتين من القنابل اليدوية . وانتظر قليلاً ، ولما وجد أن أحداً لم يتنبه إلى هذا الانفجار ، نادى رفقاءه وقال لهم : تعالوا ننظر ما أرسله لنا أولئك « اليانكي » . وأخرج أحدهم سكيناً وقطع بها القماش . ودهش الرجل وصرخ : « يا إلهي إنه طعام ! » وقضى الجنود نصف ساعة يتمتعون أنفسهم بهذا الخير الذي هبط عليهم من السماء . . . من أناس محفوظ وعصير البرتقال ، وقطع من الشكولاتة وعلب السجائر ومختلف الأطعمة التي لم يذوقوها منذ سنين ، وقال أحدهم : « لا أعرف ما هذا ، ولكنه لذيذ الطعم » .

وأخيراً قرر ونش ورفاقه أنه يحسن بهم أن يتحركوا . . . فخرجوا من الغابة وجيوبهم مملأى بالسجائر ، وساروا في طابور نحو صوت النيران البعيدة . وبعد دقائق سقط أحدهم صريعاً ، وصرخ ونش « أحد القناصة ! » وأشار على الآخرين أن يحتمووا تحت الأشجار إلى اليمين . وقال : « أوكد أني رأيته هناك » .

وأخرج ونش المنظار وأخذ يفحص أعالي الأشجار ، وبدت له حركة خفيفة ، واستمر يتطلع زمناً طويلاً ، وبعد ذلك ظن أنه يرى حركة بين أوراق الأشجار . وعند ذلك أخذ بندقيته وأطلق رصاصة . وفي أول الأمر ظن أنه أخطأه ، ولكنه رأى القناص ينزل من فوق الشجرة . فعاد مرة أخرى وصوب على موضع من الشجرة ليس به فروع أو أوراق .

وقال : « يا بني سأصيبك هذه المرة » . ورأى ساقى القناص ثم جذعه ، وأطلق الرصاص مرة بعد مرة ، وسقط القناص إلى الحلف وهلل أصحاب ونش وجروا إلى الجثة ووقفوا ينظرون إلى أول جندى يقع بصرهم عليه من جنود المظلات الأمريكيين . لقد كان أسود الشعر جميل المنظر صغير السن وقد سال الدم من جانب فمه .

وأخذ الشاويش ريشتر يفتش جيوب القتيل ، ووجد فيها محفظة فيها صورتان وخطاباً . وكانت إحدى الصورتين للجندي وبجواره فتاة . وكانت الأخرى للجندي والفتاة في شرفة منزل مع عائلته فيما يبدو . ووضع ريشتر الصورتين والخطاب في جيبه . ولما سأله ونش عن السبب في أخذ الصورتين والخطاب أجاب : « ربما أرسل هذه الأوراق في ظرف بالعنوان الموجود عليها بعد الحرب » . وظن ونش أن الرجل مجنون ، فقد يقبض عليه الأمريكيون . وإذا وجدوا هذه الأوراق معه فإنهم . . . وأشار بيده بحركة حول رقبته . وقال ضع الأشياء مكانها ودعنا نخرج من هنا . وعندما ذهب الرجال وقف ونش ينظر إلى الأمريكي ، وهو ملق على الأرض جثة هامدة وقال : « كأنه كلب مرت فوفه سيارة وقتلته ! »

وفي المطار الجوى القريب من مدينة ليل ، جرى قائد الجناح الألماني جوزيف بريلر ومساعدته السارجنت فودارتشيك ليأخذ الطيارتين الوحيدتين الباقيتين في المطار من المقاتلات . وكان مقر قيادة الفيلق الجوى قد اتصل به وأخبره أن الحلفاء قد بدءوا الغزو فعلا . وانفجر الطيار الألماني

غاضباً ، وقال : « أخيراً عرفتم أيها المغفلون . ما الذى تنتظرونه منى بربكم ، وليس لدى إلا طائرتين ؟ أين جناحى ! هل يمكنكم أن تعيدوه إلى ؟ » .
 ورد عليه ضابط العمليات بهدوء تام : « إننا لانعرف يا بريллер أين توجد طائرات جناحك الآن ولكن سنبحث عنها ونعيدها إليك والآن اتجه إلى نورمندى والله يوفقك » . واستعد الطيار ومساعدته للقيام بالهجوم الجوى الوحيد الذى جرى فى ذلك النهار ضد العدو . وقبل أن يذهب كل منهما إلى طائرته قال الضابط الألمانى لمساعدته : « ليس هنا غيرنا نحن الاثنين ، ولا نملك أن نفرق . ولهذا بالله عليك اعمل بالضبط مثل ما أعمل ، وكن خلقى وتتبع جميع حركاتى لقد قضينا زمناً طويلاً معاً وشعر الطيار أنه يجب عليه أن يوضح لمساعدته الموقف تماماً . وقال له : « نحن ذاهبان معاً ولا أظن أننا سنعود » .

وكانت الساعة التاسعة صباحاً عندما صعدا إلى الجو ، واتجها نحو الغرب محافظين على أن يكونا فوق البر وعندما وصلا إلى أيشيل (شرق ديب بقليل) رأيا فوقهما على ارتفاع كبير مقاتلات الحلفاء ولا حظ بريллер ، أنها لاتطير فى تكوين متماسك ، كما يجب أن تكون . وخطر بباله أنه لو كان معه بعض الطائرات الأخرى لاستطاع إسقاطها جميعاً . وعندما اقتربا من الهافر ، ارتفع بريллер لكى يحتمى بالسحب ، ثم طار لبضع دقائق ثم هبط إلى تحت السحب . وظهر تحتها أسطول عجيب ، مئات من السفن من كل حجم ومن كل نوع تغطى وجه

البحر وتمتد كما نهبأ له إلى ما لانهاية فوق القنال الإنجليزي . ورأى موكباً لاينقطع من سفن نقل الجنود ، وشاهد الانفجارات على الشواطئ وما وراء الشواطئ .

وطار بريلا مرة أخرى إلى فوق السحب وخطر بياله أن يقوم ولو بهجمة واحدة قبل أن يسقط ، وقال لمساعدته : « الآن سنهجم ولك التوفيق » . ثم اندفعا نحو الشواطئ البريطانية بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة ، ثم هبطا إلى ارتفاع أقل من ١٥٠ قدماً ولم يكن هناك متسع من الوقت لضبط الهدف ، وكل ما فعله إنه ضغط على الزر فوق عصا ضبط الانطلاق ، وشعر بضربات المدافع المتلاحقة وبينما هو يكتسح الشواطئ من فوق رعوس الجنود رأى وجوههم تتجه إليه في فرع . ورأى رئيس فرقة من الكوماندوز الفرنسيين هاتين الطائرتين فسارع هو ورجاله ، وحاول ستة من الأسرى الألمان الهرب أثناء هذه الفوضى ، ولكن الكوماندوز أطلقوا عليهم النيران في الحال . وعلى شاطئ جونو ، سمع أحد الجنود الكنديين زئير الطائرتين وهما تطيران على ارتفاع قليل لدرجة أمكن معها رؤية وجه الطيارين ، فارتدى الجندي الكندي على الأرض ، وكذلك فعل الآخرون . ولكن جندياً واحداً وقف في سكون يطلق مدفعه باستمرار . وعلى الطرف الشرقي من شاطئ أوماها شوهدت الطائرتان ، وهما تطيران وتطلقان مدافعهما من ارتفاع خمسين قدماً . وهما تهريان من سد البالونات .

وانطلقت جميع مدافع الأسطول المضادة للطائرات تحاول إسقاط

الطائرتين الجريئتين ، ولكنهما اخترقتا كل هذه الأخطار بسلام .
ثم اتجهتا إلى الداخل وارتفعتا إلى السحب . وقد أثار هذا العمل أحد
جنود الحلفاء فقال : « إن كنا ألمانين أو لم نكون . فإنكما تستحقان
كل التوفيق ، فبالها من شجاعة ! »

٤ - القرى والمدن الفرنسية

واشتدت عاصفة الهجوم على طول شاطئ نورمندی . أما بالنسبة
للفرنسيين الذين احتوتهم المعركة . فقد كانت هذه الساعات فوضى
وفرح وفرح ، وقد ضربت « سنت مير إجلير » ضرباً شديداً ، ومع
ذلك ظل الفلاحون يعملون في حقولهم بهدوء ، لا تشغلهم القنابل عن
القيام بأعمالهم ورأى جنود المظلات صالونات الحلاقة في المدن ، وهي
ترفع اللافتات الألمانية عن واجهات المحال . وتضع بدلها اللافتات
الإنجليزية .

وعلى بعد أميال ، في القرية الساحلية الصغيرة « لاماديلين » كان
صاحب المقهى الفرنسي يشكو متاعبه فقد طار سقف الخرن والمقهى ،
وأصيب هو بجراح من أثر القنابل . والآن جاء بعض الجنود الأمريكيين
يريدون أخذه مع سبعة آخرين إلى شاطئ « يوتاه » . ووقفت زوجته تسأل
الملازم الصغير : « إلى أين تأخذون زوجي ؟ » وأجابها الضابط بلغة فرنسية
فصيحة : « للاستجواب ياسيدتي ، لأننا لانستطيع التحدث معه هنا .

ولهذا سنأخذه هو والآخرين إلى إنجلترا . ولم تصدق السيدة سمعها ،
وقالت فى دهشة : « إلى إنجلترا ! لماذا ؟ وما الذى فعله ؟ »

وارتبك الضابط الصغير ، وحاول أن يشرح لها أنه إنما ينفذ التعليمات
وقالت السيدة وهى تبكى : « وما الذى يحدث إذا قتل زوجى وسط هذه
القنابل ؟ » وقال لها الضابط : « هناك فرصة تسعين فى المائة أن هذا
لن يحدث لزوجك » . وعانق « جازنجيل » زوجته، وسار مع الجنود ،
وهو لا يدري شيئاً مما يجرى حوله . وبعد أسبوعين عاد إلى بيته . كان العذر
الذى يعتذر به الأمريكيون هو أن كل شيء كان خطأ غير مقصود !

ومن بين رؤساء قطاعات المقاومة السرية فى المدينة الساحلية جراندى
كامب ، رجل اسمه ماريون . وكان يوم الغزو حزيناً إذ يرى الأسطول
على شاطئ يوتاه إلى يساره ، وعلى شاطئ أوماها إلى يمينه ، ولكن مدينته لم
يهبط بها أحد من الجنود . ولكن سرعان ما انشرح صدره عندما أخبرته
زوجته أن هناك مدمرة تتحرك ببطء نحو المدينة . وعند ذلك صرخ :
« إنه المدفع الذى أبلغتهم عنه » . وذلك أنه منذ أيام قليلة كان قد أبلغ
لندن أن قطعة مدفعية صغيرة قد نصبت فوق الحائط البحرى ، بحيث
لا تستطيع أن تضرب إلا جهة اليسار فى اتجاه شاطئ يوتاه . والآن تأكد
ماريون أن الرسالة التى بعث بها قد وصلت ، فهو الآن يرى المدمرة تتحرك
بمخدر إلى الجانب المقفل من المدفع ، وتبدأ فى إطلاق قنابلها . وجرت
الدموع فى عيني الرجل ، وهو يقفز كل مرة يسمع فيها صوت انفجار

القنابل ويصرخ « تسلموا الرسالة ! » . واستمرت المدمرة تضرب موقع المدفع وفجأة حدث انفجار مريع ، وذلك لأن ذخيرة المدفع انفجرت وصرخ ماريون : « بديع ! هائل ! »

وعلى الرغم من أوامر الألمان إلى أهل بايو ، المدينة ذات الكاتدرائية التي تقع على بعد ١٥ ميلا ، تجمع الناس في فناء الكاتدرائية وأخذوا يستمعون إلى أخبار الغزو من أحد القسس . وقد وقف القسيس على مرتفع يتطلع إلى الشاطئ الذي كان يراه بوضوح ، واضعاً كفيه حول فمه ، وأخذ يصرخ بالأخبار . ومن بين الذين استمعوا إلى الأخبار من هذا القسيس الآنسة « آن ماري بروكس » التي تبلغ تسعة عشر عاماً ، والتي تعمل مدرسة للأطفال ، وسيكون من حظها أن تتزوج أحد الغزاة الأمريكيين . وقد خرجت في الساعة السابعة صباحاً على دراجتها لتبلغ مزرعة أبيها في كولفيل خلف شاطئ أوماها . وبينما كانت تجد في السير مرت بمواقع المدافع الرشاشة للألمان . وقابلت الجنود يمشون نحو الشاطئ . وقد لوح لها بعضهم بأيديهم وحذرها آخرون ولم يعترض سبيلها أحد منهم . وقد رأت الطائرات تضرب بشدة ، والألمان يبحثون عن ملجأ يهتمون فيه . ولم يخطر ببالها مطلقاً أن هناك خطراً يهددها .

وفي ذلك الوقت كان بينها وبين كولفيل نحو ميل ، وكانت الطرق مهجورة وانتشرت سحب من الدخان ، وفي بعض الأماكن شبت النيران . ثم رأت بعض مساكن المزارع وقد دمرت . ولأول مرة أحست

آن ماري بالخوف ، فأسرعت حتى وصلت ملتقى الطرق عند كولفيل .
وعند ذلك اشتد رعبها . وقررت أن تسير على قدميها ، وحملت الدراجة
على كتفيها . وعبرت الحقول حتى بلغت الأرض المرتفعة ، وفي الجانب الآخر
تقع مزرعة أبيها . وجرت بقية الطريق .

وفي أول الأمر ظنت أن المزرعة مهجورة ، لأنها لم تر أحداً . ونادت
أباها وأسرعت إلى فناء البيت ، ووجدت النوافذ كلها مهشمة ، وقد
اختفى جزء من السقف ، وكان هناك ثقب غائر في الباب وفجأة
فتح الباب ووقف أمامها أبواها ، فألقت بذراعيها حولهما معاً . وقال
أبوها : « ابنتي هذا اليوم عظيم لفرنسا » وانفجرت ابنته تبكى . وعلى
بعد نصف ميل ، كان هناك أمريكي يقاتل من أجل حياته وسط
فظائع وأخطار لا حد لها في شاطئ أوماها . وذلك الجندي الذي يبلغ
من العمر تسعة عشر عاماً ، اسمه « ليوهيروكس » هو الرجل الذي
قدر له أن يتزوج من آن ماري .

* * *

وفي سجن كاين جلست سيدة فرنسية ، اسمها مدام « ليشيفاليه » ،
تنتظر تنفيذ حكم الإعدام فيها لمساعدتها طياري الحلفاء . وعندما وضع
الحارس طعام الإفطار تحت الباب سمعته يهمس : « الأمل ، الأمل ،
إن الإنجليز قد وصلوا » . وأخذت السيدة تصلي ، وترجو أن يكون زوجها
وهو سجين في زنزانة قريبة ، قد سمع هذه الأخبار . . . كانت القنابل

تدوى طول الليل ، ولكنها ظنت أنها القنابل العادية . والآن لديها فرصة للنجاة ، ولعل الخلاص يأتي قبل فوات الأوان .

وفجأة سمعت حركة في ممر السجن ، ورقدت على ركبتيها لترى الباب ، وأخذت تنصت . وسمعهم يصرخون : « إلى الخارج » ، وسمعت صوت الأقدام وغلق الأبواب . ثم عاد السكون . وبعد قليل سمعت صوت نيران المدافع الرشاشة وهي تنطلق دفعة واحدة في ذلك اليوم استولى الرعب على حرس الجستابو ، عند وصول أخبار نزول الحلفاء . وكانوا قد أقاموا مدفعين في فناء السجن . وكانوا يخرجون المسجونين جماعات كل جماعة عشرة ، ويوقفونهم أمام الحائط ثم يعدمونهم . وكانوا يأخذونهم بهم مختلفة بعضها صحيح وبعضها باطل . وبلغ عدد الذين أعدموا في ذلك اليوم اثنين وتسعين ، منهم أربعون فقط كانوا فعلا من رجال المقاومة السرية . وهكذا في اليوم الذي يبدأ فيه تحرير فرنسا ، تجرى مذبحة لأولئك الرجال بغير محاكمة أو دفاع ، وكان من بينهم زوج السيدة الفرنسية : مسيولويس ليشيفالييه .

٥ - أخيراً انفكت العقدة

أخيراً انحلت عقدة الحرب ، وتحول الضعف إلى قوة والجمود إلى شعلة من النشاط . ظل الجنرال أيزنهاور يمشى في عربته طول الليل ينتظر مجيء التقارير عن الغزو . لقد حاول أن يسترخي كعادته بالقراءة ولكنه لم

يفلح ، ثم جاءت التقارير الأولى وكانت مقتضبة ، ولكنها كانت أخباراً طيبة . ذكرت التقارير أن قواد البحر والجو مطمئنون إلى الحالة بوجه عام ، وأن الجنود قد نزلوا إلى جميع الشواطئ الخمسة ، وأن الخطوة تسير سيراً طبيعياً ، وإن كانت الأقدام لم تثبت تماماً على البر . وهكذا لم تعد هناك حاجة إلى إذاعة النشرة التي كان أيزنهاور قد أعدها في حالة الفشل . وقد جاء في تلك النشرة التي لم تدع : « قام الجنود والقوة الجوية والأسطول بكل ما يقوم به الرجال الشجعان المخلصون ، وإذا كان هناك لوم أو خطأ يتصل بهذه المحاولة فإن اللوم يقع على وحدي » . وعندما تأكد أيزنهاور أن الجنود قد نزلوا إلى البر أصدر أمره بإذاعة نشرة أخرى ، بعد الساعة التاسعة والنصف صباحاً بثلاث دقائق وصدرت إلى العالم تقول : « بأمر الجنرال أيزنهاور نعلن أن القوات البحرية للحلفاء ، تعضدها القوات الجوية ، بدأت إنزال جيوش الحلفاء هذا الصباح على الشاطئ الشمالي لفرنسا » .

تلك كانت اللحظة التي ينتظرها العالم . والآن وقد بدأت فإن الاستجابة لها كانت بمشاعر مختلفة من الانطلاق والانشراح والقلق . وقالت جريدة التيمس اللندنية في مقالها الرئيسي عن يوم الغزو « أخيراً انفكت العقدة » .

وقد سمع معظم البريطانيين الخبر أثناء عملهم اليومي . وفي بعض المصانع الحربية قرئت النشرة في مكبرات الصوت . وتوقف الرجال والنساء

عن عملهم وأنشدوا « حفظ الله الملك ». وفي القرى فتحت الكنائس أبوابها ،
وفي القطارات وفي الشوارع تحدث الأعراب بعضهم مع بعض ، وصافح
الناس الجنود الأمريكيين بهز الأيدي ، وتجمعت حشود في الطرقات
ليشاهدوا أعظم تحرك للطائرات ظهر في سماء بريطانيا .

وخرج أهالي وزوجات الجنود والبحارة وأمهاتهم عن هدوئهم العادي ،
ومنهم زوجة الضابط أونر ، الذي كان يقود الغواصة الحنفسية س ٢٣ ،
وقد سمعت الأخبار وعرفت في الحال أين كان زوجها . وقد طلبها
بالتليفون أحد ضباط العمليات من قيادة الأسطول ، وقال لها : « إن جورج
بخير ، ولكن لن تعرفي ماذا كان يصنع » . ولم يعنها ذلك فإن أهم شيء
عندها أنه الآن سليم . وكانت زوجة أحد الجنود الذين نزلوا في شاطئ
« السيف » في الموجة الأولى ، مشغولة بحمام أطفالها عندما سمعت الخبر ،
وحاولت أن تمنع الدموع من الجريان فوق خديها . وجعلت تدعو الله أن
يعيد زوجها سالماً . وفي أحد البنوك كانت السيدة « داكويرث » منهمكة
في العمل ، فلم تعرف بالهجوم إلا في وقت متأخر من النهار ، وعند ذلك
علمت أن زوجها الأمريكي ، الكابتن داكويرث قتل عندما وضع قدميه
فوق شاطئ أوماها ، ولم يكن قد مضى على زواجهما إلا خمسة أيام !
وبينما كان لفتنانت جنرال سيرفريدريك مورجان في طريقه إلى
مقر قيادة أيزنهاور في بورتسموث سمع الراديو يدعو المستمعين إلى
الاستعداد لسماع بيان هام . وعند ذلك طلب مورجان من سائقه أن

يوقف السيارة وأدار زر الراديو ليرتفع الصوت وهكذا سمع الرجل الذي وضع الخطة الأصلية لغزو الحلفاء ، أخبار الهجوم (وهي الخطة التي رمزوا لها بلفظ « أوفرلورد ») .

وفي معظم أنحاء الولايات المتحدة سمع الناس الخبر في وسط الليل : على الساحل الشرقي كانت الساعة الثالثة والنصف صباحاً . وعلى الساحل الغربي كانت الساعة اثني عشرة ونصف بعد منتصف الليل . وكان معظم الناس قد ذهبوا إلى فراشهم . ولكن العمال في دوريات الليل كانوا بين الذين سمعوا الخبر في أول نشرة . وأولئك العمال هم الرجال والنساء الذي كدوا لينتجوا معظم المدافع والدبابات والسفن والطائرات التي قامت بالهجوم . وفي كل مكان في المصانع الحربية وقف العمل لحظة للتأمل أو الدعاء . وتنهيت المدن والقرى في أنحاء البلاد لاستماع الأخبار . وفي إحدى المدن في جورجيا على الساحل الغربي توجه الناس للكنيسة في الساعة الرابعة صباحاً ، ودق جرس الحرية في فيلادلفيا ، ودقت الأجراس في فرجينيا موطن الفرقة التاسعة والعشرين من الجيش الأمريكي . ومن بين مدن هذه الولاية وقراها قرية بدفورد التي لا يزيد عدد سكانها على ٣٨٠٠ وقد خسر أهل هذه القرية في يوم الغزو على شاطئ أوماها ثلاثة وعشرين جندياً من العدد الذي جند منها وهو ستة وأربعون .

وكانت مسز تيودور روزفلت في مسكنها في لونغ أيلند تنتظر الأخبار ،

وكانت تعلم أن زوجها لابد أن يكون الآن وسط المعركة ، فتلك دائماً عاداته في الحرب . وهي لا تعلم أنها ربما تكون السيدة الوحيدة في البلاد، التي أرسلت إلى الحرب زوجها وولدها . لقد كان زوجها على شاطئ يوتاه، وأما ابنها ، وهو كابتن الفرقة الأولى ويبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، فقد كان في شاطئ أوماها . وبينما كانت تجلس في سريرتها، أغلقت عينها ونظقت بهذا الدعاء القديم المؤلف عند الأسرات الأمريكية وهو :

« اللهم ارعنا في هذا اليوم . حتى يطول الظل ويحل الليل » .

* * *

وفي ألمانيا لم يعرف الشعب الألماني شيئاً عن الغزو بطريقة رسمية . ومن الغريب أن راديو برلين سبق بيان أيزنهاور بثلاث ساعات ، وكان أول من أذاع خبر نزول جنود الحلفاء . وفي الساعة السادسة والنصف صباحاً غمرت محطات ألمانيا العالم بنشرات الأخبار ، ولكن هذه الإذاعات كانت بالموجة القصيرة : وكانت هذه الموجة محرمة على جمهور الشعب في ألمانيا . وكان الاستماع إلى المحطات الأجنبية محرماً يعرض المخالف للسجن مدة طويلة . ومع ذلك فإن بعض الألمان استمعوا إلى محطات سويسرة والسويد وأسبانيا . ولكن الأسر التي كان لها أبناء في الجيش عرفت الخبر وزاد ذلك من شدة قلقها .

أما في برختسجادن فلم يجسر أحد من الرجال المحيطين بهتلر أن ينظره بالخبير . قبل ظهور النشرة الرسمية للحلفاء وطلب الأدميرال فون

بوتكامر مكتب يودل في الساعة التاسعة صباحاً - وبوتكامر هو مساعد هتلر البحري ليحصل على التقرير الأخير ، فأخبروه أن هناك دلائل أكيدة بأن هناك عملية إنزال جنود هامة قد حدثت وبعد أن حصل فون بوتكامر مساعد هتلر على جميع المعلومات الممكنة ، قام هو ورجال قيادته بإعداد خريطة . وعند ذلك قام الجنرال رودلف شموندت ، ياور الفوهرر ، بإيقاظ هتلر . وعندما خرج هتلر من حجرة نومه استمع إلى الخبر في هدوء وتلقى البيانات التي أعدها له مساعده ، ثم أرسل يستدعى رئيس أركان حربه الفيلد مارشال كيتل ونائبه يودل . وعندما وصلا كان هتلر قد ارتدى ملابسه ، وكان ينتظرهم وقد استشاط غضباً .

وعقب ذلك عقد مؤتمر احتدم فيه النقاش ، وكانت المعلومات التي وصلتهم ناقصة . ولكن هتلر اعتقد أن هذا الهجوم ليس هو الغزو الرئيسي ، وجعل يكرر ذلك مرة بعد مرة واستمر المؤتمر مدة قصيرة ثم انفص فجأة ، عندما صرخ فيهم هتلر : « هل هذا هو الغزو ؟ أم ليس هو الغزو ؟ » ثم دار على عقبه وترك الحجرة . والغريب في الأمر أن موضوع قوات البانزر الاحتياطية ، التي ألح فون روندشتدت في طلبها ، لم يتعرض له أحد .

وفي الساعة العاشرة والرابع صباحاً دق جرس التليفون في منزل رومل في « هرلنجن » . طلبه رئيس أركان حربه الجنرال شبيدل لكي ينظره « بأول تقرير ملخص عن الغزو » . واستمع رومل وهو مذهول كأنما

أصابته صدمة شديدة ، وعرف رومل بغريزته ، التي لم تخنه طول حياته ، أن هذه المرة ليست من نوع غارة ديبب ، بل إن هذا هو اليوم الذي ظل ينتظره ، وهو اليوم الذي كان يقول عنه إنه سيكون « أطول يوم عرفه الإنسان » . وانتظر في صبر حتى أتم شبيدل مالمديه . وبعد ذلك قال بهدوء دون أن يكون في صوته أى أثر للانفعال : « ما أغبانى ! ما أغبانى ! » .

وعندما ترك التليفون لاحظت زوجته أنه قد تغير ، وأنه في حالة نوتر مريعة . وفي مدة الخمس والأربعين دقيقة التالية طلب مساعده الكابتن لانج في منزله في ستراسبورج عدة مرات . وفي كل مرة أعطاه ساعة مختلفة للموعد الذي يعودان فيه إلى مقر القيادة ، في لاروش جوايون . وأخيراً قال له : « سرحل في الساعة الواحدة تماماً من فرويد نستاد » وقد استنتج لانج من ذلك أن رومل قد أجل موعد سفره لكي يقابل هتلر . ولكنه لم يكن يعلم أن أحداً في برختسجادن . فيما عدا شموندت ، ياور هتلر ، كان يعلم أن رومل موجود في ألمانيا .

٦ - يا للبطولة

وفي شاطئ يوتاه غطى صوت العربات والدبابات وسيارات الجيب على صوت مدافع الألمان المتقطع . وكانت قوات الفرقة الأمريكية الرابعة تتقدم بسرعة لم يكن يتنبأها أحد . وعلى جانبي المخرج رقم ٢ الذي كان الممر الوحيد لفيضان حركة المرور ، وقف اثنان من القواد ينظمان

الحركة ، أحدهما قائد الفرقة الرابعة ، الجنرال بارتون ، والآخر القائد المتصالي البريجادير جنرال تيدى روزفلت . وعندما تقدم فوج المشاة الثاني عشر يقوده الماجور جيردن جونسون ، رأى روزفلت يروح ويجيء في الطريق المترب . وهو متكئ على عصاه ، وفي فمه غليونه ، ولا أثر عليه للاضطراب مطلقاً . وما إن رأى جونسون حتى ناداه باسمه « جوني ، الزم يمين هذا الطريق ، إنك على أحسن حال . وهذا أجمل يوم للصيد . أليس كذلك ؟ » لقد كان روزفلت منشرح الصدر ، فقد كان يخشى أن يؤدي قراره - بتحويل الفرقة الرابعة كلها إلى هذا المكان الذي يبعد عن المخطط الأصلي بنحو ٢٠٠٠ ياردة - إلى كارثة . ولكنه الآن يراقب الخطوط الطويلة من العربات والجنود وهي تتحرك إلى داخل البلاد وهو يشعر باطمئنان عظيم ورضا شخصي .

ولكن بارتون وروزفلت كانا يشعران في قرارة نفسيهما بشيء من الخوف ، فإن لم تستمر الحركة بانتظام فإن أي هجوم ألماني قوى يستطيع أن يوقف تقدم هذه القوات ، ولهذا كانا يبذلان كل جهد لإبقاء الطريق مفتوحاً . وكلما تعطلت سيارة رفعت من الطريق في الحال . وبين آن وآخر تصيب قنابل العدو بعض العربات وتشعل فيها النار . وتسرع الدبابات لجرها بعيداً عن الطريق ، وتلقى بها في الأرض المغهورة بالماء حيث كان الجنود يخوضون . وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً ، جاء الخبر السار وهو أن المخرج أصبح مفتوحاً وهو على بعد ميل واحد منهم ولهذا فإن بارتون

حول دباباته إلى ذلك الممر لتخفيف الضغط على المخرج الثاني . وبذلك استطاعت الفرقة الرابعة الأمريكية أن تتحرك بسرعة لتلحق بجنود المظلات . وبلغت إصابات الفرقة نحو مائتين منهم ستون فقدوا في البحر . وسيكون أمام هذه الفرقة في الأيام المقبلة قتال عنيف . ولكن هذا اليوم كان يوم نصر لهم . وما حل المساء حتى كان هناك ٢٢,٠٠٠ جندي ، ١,٨٠٠ عربة قد نزلوا جميعاً إلى البر وهكذا كانت الفرقة الرابعة من الجيش الأمريكي وجنود المظلات أول القوات التي تمكنت من إقامة رأس جسر في فرنسا .

أما على شاطئ أوماها فقد كافح الجنود الأمريكيون فيه كفاح المستميت ، شبراً بعد شبر . وكان الموقف حرجاً إلى حد أن الجنرال عمر برادلي ، وهو فوق البارجة أوجستا . فكر وقت الظهر أن يسحب الجنود من هذا الشاطئ وينقلهم إلى شاطئ يوتاه ، وإلى الشواطئ البريطانية . وبينما هو في حيرة من أمره ، كان الرجال يتحركون فوق شاطئ أوماها فوق فوضى مستحكمة .

وفي أحد قطاعات ذلك الشاطئ وقف جنرال أمريكي في الحادية والخمسين من عمره يدعى نورمان كوتا . بحث الجنود على ترك الشاطئ والتحرك إلى الداخل . وكان الجنود لا يصدقون أن يقف إنسان على رجليه وسط تلك النيران ويظل حياً . ووقد جماعة من الرانجرز الأمريكيين ترب مخرج فيرفيل ، فناداهم الجنرال « كوتا » أن يتقدموا الآخريين . وعلى بعد

قليل قبع جرار محمل بالفرقعات ، وكان ذلك غاية المطلوب لتدمير حائط
أقامه الألمان في فيرفيل في عرض الطريق لمنع مرور الدبابات .
وصرخ الجنرال في جنوده : « من يستطيع أن يقود هذا الجرار ؟ »
ولم يتقدم أحد ، وكأنما الرجال شلت حركتهم بسبب هذه النيران المستمرة
التي تمطر الشاطئ . وبدأ الجنرال يفقد أعصابه وزأر فيهم : « أليس
فيكم رجل فيه نخوة وإقدام ؟ » وعند ذلك تقدم جندي له شعر أحمر
حتى وقف أمام الجنرال وقال : « سأقود الجرار » .

وربت الجنرال على ظهره بإعجاب وقال له « هكذا البطولة »
وغادر الجنرال الشاطئ ووراءه الجنود . لقد كان يضرب المثل لجنوده منذ
أن وصل إلى الشاطئ . وفي كل مكان تجد من بين الجنود والضباط رجالا
لا يهابون الموت أولئك الرجال يسرون في المقدمة وتتبعهم بقية الفرق .
ومتى شرع الجنود في السير فإنهم لا يقفون بعد ذلك مرة أخرى . وقال أحد
الجنود عن نفسه إنه خطا فوق عشرات من أصدقائه الذين قتلوا ، وصعد
إلى تلال الشاطئ محترقاً مناطق الألغام .

وصعد شاويش إلى أعلى التل ونادى فرقة أن اصعدوا فقد اختفى
العدو . وفي الحال دوت إلى يساره طلقات شديدة من مدفع رشاش .
ودار الشاويش على عقبه وألقى بقنبلتين من قنابل اليد ، وصرخ في
رفاقه : « الآن اصعدوا فإن كل شيء أصبح هادئاً هنا » .
وكلما وجد الرجال أنه من الممكن التقدم إلى الأمام اشتد ساعدتهم

وقويت عزائمهم . وحدث فوق تل عند فيرفيل أن كان الكابتن هويتنجتن ومعه الشاويش ويست يستطلعان ، فرأيا مدفعا رشاشاً حوله ثلاثة من الألمان . دار الاثنان بكل احتراس ، ولكن أحد الألمان تحول نحوهما فجأة وصرخ : « بتّه ، بتّه : بتّه » (Bitté) وأطلق الكابتن النار وقتل الألمان الثلاثة جميعاً ، وقال للشاويش : « ترى ما معنى بتّه ؟ » (معناها من فضلك)

وأخيراً خرج الجنود من تلك الشناعة التي سميت شاطي أوماها . وفي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر تقدمت الجنود التي كانت محصورة في مكانها ، وسارت إلى المرتفعات التي تشرف على الشواطئ . وعندما انتهى اليوم وصل جنود الفرقتين الأولى والتاسعة والعشرين إلى بعد ميل عن البحر . وقد كلفهم هذا الشاطي ما يقرب من ٢٥٠٠ جندي بين قتيل وجريح ومفقود .

٧ - القوات الألمانية المدرعة - الپانزر

كانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما وصل الماجور بلوسكات إلى مقر قيادته في إيتراهام ، وعند ذلك رأى ضباطه شبحاً يختلف كل الاختلاف عن القائد الذي يعرفونه . كان يرتعد كأنما أصيب بالفالج وكل ما استطاع أن يقوله : « براندى ، براندى ! » وعندما قدموا له

الكأس ارتعدت يده ، حتى كاد يعجز عن رفع الكأس إلى فمه .
وتجمع حوله الضباط ، وكانت المشكلة أمامهم ، هي عدم كفاية
الذخيرة اللازمة لبطاريات المدفعية الساحلية. وقد أرسلوا تقريراً بذلك إلى
قيادة الفوج. وردّ اللفتنان كولوئيل أوكر بصوته الرقيق : « ياعزيزى
بلوسكات هل لازلت على قيد الحياة ؟ » وقال بلوسكات بحدة : « ماذا
فعلتم بشأن الذخيرة ؟ » وقال أوكر : « إنها فى الطريق » .

وثار بلوسكات غاضباً وصرخ : « متى تصل ؟ إنكم لاتدركون مانلاقى
هنا . وبعد عشر دقائق تكلم أوكر فى التليفون قائلاً : « عندى أخبار
سيئة . لقد علمنا الآن فقط أن قافلة الذخيرة قد نسفت تماماً . ولن يكون
فى إمكاننا أن نرسل لك شيئاً من الذخيرة قبل حلول الليل » . ولم يدهش
بلوسكات لهذا الخبر . وهو يعرف أن شيئاً لا يستطيع أن يتحرك الآن
فوق الطرقات . وهو يعرف أيضاً أن مدافعه إذا استمرت تطلق نيرانها
بالسرعة التى تعمل بها الآن فإن ذخيرتها ستنفد قبل أن يأتى الليل .
والمسألة الآن هى أى الاثنين سيكون أسبق وصولاً إلى مدافعه ، الذخيرة
أم الأمريكيون . وأصدر بلوسكات أمراً إلى جنوده أن يستعدوا للقتال
المباشر . وبعد ذلك أخذ يتجول على غير هدى ، فى ذلك القصر
الريفي . وشعر فجأة بالحسرة لعجزه ، وأراد لو يعرف أين كلبه « هراس »
فى هذا الوقت .

والآن كان الجنود البريطانيون الذين خاضوا معركتهم الأولى في اليوم الأول من أيام الغزو . يتمسكون بما كسبوه، وهو بعض الحسور على نهر أورن وقناة كاين . وقد عززت القوة عند الفجر ، بجنود آخرين من فرق المظلات . ومع ذلك فإن عدد الرجال أخذ يتناقص تحت ضغط النيران العنيفة من مدافع الهاون ومن الأسلحة الصغيرة . وقد استطاع جنود الماجور هوارد أن يصدوا عدداً من الهجمات المضادة . والآن ينتظر الجنود بفارغ صبر أن تأتيهم إمدادات من البحر .

وكان بعض الجنود يرقدون في خندق قريب من قناة كاين . ومنهم جندي ظل ينظر في ساعته ويقول إن فرقة الكوماندوز التي كان يجب أن تلاحق بهم قد تأخرت ساعة ونصف ساعة ، وهو يخشى أن يرفع رأسه فإن القناصة الألمان يزدادون دقة في الإصابة كل دقيقة . وفجأة قال الجندي لرفيقه : « أظن أني أسمع صوت موسيقى القرب » . رد رفيقه بسخرية « إنك معتوه ! » وبعد ثوان سمع الاثنان صوت موسيقى القرب ، وفي ذلك الوقت كان الكوماندوز ، بقيادة لورد لوفات، يسرون بنجلاء بقبعاتهم الخضراء ، ويسير في مقدمتهم الزمار ، وهو يرفع صوته بنشيد « قبعات زرقاء وراء الحدود » . ووقف إطلاق النار من الجانبين لحظة . ولكن سرعان ما عادت النيران تقصف . وعندما اتجه الكوماندوز نحو الجسرين ، التفت الزمار إلى لوفات الذي أشار إليه أن يستمر في نفخ القربة . وعلى الرغم من نيران الألمان الشديدة فقد اندفعت جنود المظلات

ترحب بالكوماندوز واعتذر لوفات لهم عن تأخره . وقد كان اللقاء بينهم لحظة رائعة إذ فرح جنود المظلات لأن الإمدادات الأولى جاءتهم . وعندما اختلطت القبعات الحمراء بالقبعات الخضراء ، كان هناك تغير فجائي واضح في الروح المعنوية عند الجنود

* * *

وفي تلك اللحظات كان رومل يسرع في هياج شديد لكي يصل إلى نورمندی ، وكان قواده في جبهة القتال يجاهدون جهاد المستميت ليصدوا تلك العاصفة التي ثارت فوق رؤوسهم . والآن أصبح كل شيء يتوقف على قوات البانزر ، وهم الفرقة الواحدة والعشرون التي تقع خلف الشواطئ البريطانية مباشرة وفرقة الصاعقة الثانية عشرة وفرقة « بانزر ليهر » وكان هتلر يحجز الفرقتين الأخيرتين .

وكان رومل يراقب الطريق وهو يلح على السائق أن يسرع ، وظل رومل صامتاً لا ينطق بكلمة ، وقد جلس خلفه مساعده الكابتن لانج ، الذي لم يسبق له أن رأى القائد العام منقبضاً إلى هذا الحد . وأراد لانج أن يحدث الفيلد مارشال عن نزول الجنود ، ولكن رومل لم يبد رغبته في الحديث فجأة التفت رومل إلى الوراء وقال للانج : « لقد كنت على صواب على طول الخط » .

لم تستطع قوات البانزر من الفرقة الواحدة والعشرين أن تنفذ إلى كاين . وكان الكولونيل برونيكوفسكى يقود فوج الدبابات التابع للفرقة ،

وكان يشرف على طابور الدبابات راكباً سيارة فولكس واجون . أما مدينة كاين فقد أصبحت خراباً . وقد دمرها المهاجمون بالضرب المحكم . وامتلأت الشوارع بالركام وامتلأت الطرقات بالرجال والنساء - وبعضهم على دراجاتهم - يحثون الخطى للهرب من المدينة المحرقة . ولم يبق لدبابات فرقة بانزر أمل في اختراق هذه المدينة . وقرر قائد الفوج أن يتراجع قليلاً ، ويدور حولها .

وقد كانت الروح المعنوية بين قوات البانزر عالية فقد شعروا بالسعادة لأنهم يقومون بالهجوم ضد البريطانيين . وخيل إليهم أنه لن يمضي وقت طويل حتى يلحقوا بالدبابات وعند ذلك سيسوقون البريطانيين أمامهم إلى البحر . ولم يكونوا يعرفون موقع الدبابات ، ولكنهم كانوا موقنين أنها لا بد أن تكون قد وصلت إلى الشاطئ قبلهم وبدأت الهجوم . وكانت فرقة البانزر تتجه نحو الثغرة التي يبلغ اتساعها ثمانية أميال . والتي لم يستطع الكوماندوز البريطانيون حتى ذلك الوقت أن يسدوها بين شواطئ جونو وجولد . وقد عزم البانزر أن يستغلوا هذه الثغرة ليشقوا إسفيناً بين شواطئ البريطانيين يكون متسعاً بدرجة كافية . وبذلك يهددون جميع وحدات الهجوم الذي يشنه الحلفاء . والغريب في الأمر أن الكولونيل برونيكوفسكى ، قائد فوج الدبابات ، لم يكن يعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الثغرة !

* * *

وفي باريس طلب الجنرال بلومنتريت ، رئيس أركان حرب فون روند أطول يوم في التاريخ

شتدت ، طلب شبيدل فى مقر قيادة رومل . قال بلومنتريت : « إن القيادة العليا قررت استخدام قوات فرقة البانزر الثانية عشرة (الصاعقة) والبانزر ليهير » . وكانت الساعة حينذاك ٣:٤٠ بعد الظهر . ويعلم كل من الرجلين أن هذا القرار جاء متأخراً ، وأن هتلر وضباطه العظام قد عطلوا فرقتى البانزر عشر ساعات عن الموعد الذى كان يجب أن تنطلقا فيه إلى نورمندى ، والآن ليس هناك أمل أن تصل إلى منطقة الغزو فى هذا اليوم الخطير فلن تستطيع فرقة الصاعقة أن تصل إلى رأس الجسر قبل صباح يوم ٧ يونية . وأما فرقة البانزر ليهير فقد فى كثير من رجالها بسبب الغارات الجوية المستمرة . ولن تستطيع الوصول إلى أماكن الغزو قبل اليوم التاسع من الشهر . ولم يبق لديهم أمل لضرب الحلفاء ضربة قوية ، قبل أن يستقر بهم الأمر ، سوى فرصة فرقة البانزر الواحدة والعشرين .

والآن قربت الساعة من السادسة مساء . وقد وقفت عربة رومل الهورث فى مدينة ريمس . وفى مقر القيادة فى تلك المدينة طلب لانج الاتصال بقيادتهم فى لاروش جويون . وقضى رومل خمس عشرة دقيقة على التليفون ، ليعرف الموقف من رئيس أركان الحرب . وعندما خرج رومل من المكتب أدرك لانج أن الأخبار لا بد أن تكون سيئة ، وبينما هم فى السيارة لزم رومل الصمت . وبعد لحظات ضرب رومل قبضة يده اليمنى فى كفه الأخرى وقال بمرارة : « صديقي اللدود مونتهجورى ! »

ثم قال بعدئذ : « يا إلهي ! لو أن فرقة البانزر الواحدة والعشرين نجحت في الوصول إلينا ، فإنه سيكون في إمكاننا صدحهم في ثلاثة أيام » .

وفي شمال كاين أصدر قائد فوج الدبابات أمره بالهجوم ، وأرسل ٣٥ دبابة بقيادة الكابتن « جوتبرج » للاستيلاء على المرتفعات الواقعة عند « بيرير » ، على بعد أربعة أميال من الشاطئ . وأما قائد الفرقة فسيهجم بنفسه على المرتفع المشرف على بلدة بيهفيل على بعد ميلين ودمه ٢٥ دبابة وتقدمت الدبابات وتفرقت على شكل مروحة . وفي ذلك الوقت وصل الجنرال ريشتر قائد الفرقة ٧١٦ ، وكان في حالة يرثى لها . وامتلأت عيننا الرجل بالدموع وهو يقول : « لقد فقدت جنودى جميعاً . لقد انتهت الفرقة كلها » . وأخرج قائد الدبابات خريطته وعرضها على ريشتر وقال له : « أين موقعهم ؟ هل يمكنك تحديده على الخريطة » . وهز ريشتر رأسه وقال : « لا أعرف »

* * *

استدار رومل وهو جالس في مقعده الأمامي في سيارته الطورش وقال : « آمل ألا تكون هناك جبهة ثانية في هذا الوقت في البحر المتوسط » . ثم توقف لحظة وقال بهدوء : هل تعلم بالانج ، لو كنت قائد قوات الحلفاء في هذا الوقت بالذات ، لأمكنني إنهاء الحرب في أربعة عشر يوماً » . ثم عاد ينظر إلى الأمام ، واستمر لانج ينظر إليه . إنه الآن رجل بائس أطول يوم في التاريخ

لا يستطيع أن يعمل شيئاً . واستمرت العربة الهورش تزار في طريقها طول المساء .

وسارت الدبابات بقيادة برونيكوفسكى وهى تصعد بصعوبة المرتفعات المشرفة على « بيهيل » . وقد دهش قائد الفوج لأنه حتى الآن لم يقابل مقاومة من العدو . وعندما بلغت أولى الدبابات إلى قمة التل فوجئت بطلقات المدافع تنصب عليها من مكان بعيد . لم يستطع قائد الفرقة أن يتبين مصدر الضرب ، أهو من دبابات بريطانية كانت مخبئة ، أم من المدافع المضادة للدبابات ؟ وكانت الطلقات عنيفة كما كانت مصوبة تصويماً مباشراً . وبدت كأنها تأتي من عدة أماكن في وقت واحد . وفجأة انفجرت الدبابة الأولى ، قبل أن تطلق طلقة واحدة . وتقدمت دبابتان وهما تطلقان النار ، ولكنهما لم تستطعا التأثير في المدافع البريطانية . وعرف قائد الفوج السبب ، ذلك أن مدى المدافع البريطانية يفوق مدى مدافعه بكثير . وظل التدمير يلحق دباباته واحدة بعد واحدة . و أقل من خمس عشرة دقيقة فقد القائد ست دبابات . وقد ذهل لأنه لم يرمثل هذه الطلقات ، ولم يكن في استطاعته أن يفعل شيئاً ، ولهذا أوقف الهجوم ، وأمر دباباته بالانسحاب .

وكان البريطانيون في هذه الأثناء قد احتلوا مواقع فوق مرتفعات « بيرير » واستطاعوا صد دبابات جوتبرج الخمس والثلاثين ، قبل أن تصبح تلك الدبابات على مدى مناسب لإطلاق نيرانها . وقد فقد

جوتبرج في مدة قصيرة عشر دبابات . والسبب في تلك الخسارة أن القائد أضاع وقتاً نفيساً في محاولة الدوران حول كاين وأعطى بذلك البريطانيين فرصة كافية لتثبيت أقدامهم فوق المرتفعات الاستراتيجية . وانسحب جوتبرج إلى غابة قرب قرية « ليسي » . وهناك أمر رجاله أن يحفروا خنادق للدبابات ، بحيث لا يظهر منها فوق الأرض إلا أبراجها ، وهو متأكد أن البريطانيين سيتقدمون إلى كاين في مدى ساعات قليلة .

ولكن الوقت مردون أن يروا هجوم البريطانيين ، وبعد الساعة التاسعة مساء رأى جوتبرج منظرًا عجيبيًا . رأى من بعد طائرات يرتفع زئيرها ، وعلى بعد أكثر رأى أسراب الطائرات الزلاقة تحلق فوق الشاطئ . وهي تطير بانتظام وهدوء خلف الطائرات التي تجرها . وبينما هو يراقب هذا المشهد ، رأى الزلاقات تنفصل وتدور ثم تنحدر ثم تهبط بصوت كخفيف الأشجار ، ثم تنزل إلى الأرض في مكان لا يستطيع رؤيته يقع بينه وبين الشاطئ . وعند ذلك أخذ الرجل يسب ويلعن وقد اشتد به الغضب .

وفي بييفيل حفر برونيكوثسكى أيضاً خنادق للدباباته . وبينما كان يقف على جانب الطريق شاهد الرجل بعض الضباط الألمان ، ومع كل منهم عشرون أو ثلاثون من الجنود ، وهم قادمون من الجبهة وينسحبون نحو كاين . ولم يستطع برونيكوثسكى أن يفهم لماذا لا يهجم البريطانيون . لقد بدا له أن كاين والمنطقة كلها أصبحت في متناول أيديهم بحيث

يستطيعون الاستيلاء عليها في ساعات قليلة^(١) وفي نهاية الموكب رأى برونيكو فسكى شاويشاً قد وضع ذراعيه حول اثنين من الجنود الألمان ، وقد بلغ بهما السكر مداه ، وهما يترنحان ذات اليمين وذات الشمال . وهما ينشدان نشيد « ألمانيا فوق الجميع » ولا يحسان بشيء حولهما ، وراقبهما الرجل حتى غابا مز عينيه فصرخ بصوت عال : « ضاعت الحرب ! » .

* * *

مرت سيارة رومل بهدوء في شوارع لاروش جويون ، وهي تسير ببطء بين المساكن الصغيرة ، على جانبي الطريق . وبلغت السيارة قصر الدوق لارشفوكو ، وقفز لانج وجرى لكي ينجر الجنرال شبيدل بعودة الفيلدمارشال . وفي الممر الرئيسي سمع لانج نغمات موسيقية من أوبرا فاجنر ، وهي آتية من مكتب رئيس الأركان . وارتفع صوت الموسيقى عندما فتح الباب فجأة وخرج منه شبيدل .

غضب لانج ونسى في تلك اللحظة إنه يخاطب قائداً برتبة جنرال وقال : « كيف يمكن أن تستمع إلى أوبرا في مثل هذا الوقت ؟ » وتبسم له شبيدل وقال : « يا عزيزي لانج ، لا يمكن أنك تعتقد أن عزف قليل من الموسيقى سيوقف الغزو الآن ، أليس كذلك ؟ »

ودخل رومل إلى القصر ، لابساً معطفه الحربي الطويل ، وفي يده

(١) لم يستول البريطانيون على مدينة كاين رغم أهميتها الاستراتيجية إلا بعد ستة

أسابيع ، وبقي قائد فرقة الدبابات برونيكوفسكى يدافع عن كاين طول هذه المدة .

عصا الماريشالية ، ذات الطرف الفضي وأغلق شبيدل الباب ، ولما كان لانج يعرف أن هذا المؤتمر سيستغرق بعض الوقت ، فإنه ذهب إلى حجرة الطعام . ولما كان متعباً فإنه جلس إلى إحدى المناضد الطويلة وطلب فنجاناً من القهوة . وبقربه جلس ضابط آخر يقرأ جريدة ، ورفع الضابط رأسه وسأل لانج : « كيف كانت الرحلة ؟ » ولكن لانج لم يجب بل استمر ينظر إليه باستغراب .

* * *

وفي شبه جزيرة شربورج ، قرب سانت مير إجليز ، كان الجندي دتش شولتر من الفرقة الأمريكية التي نقلت بالجو ، كان يتكى على جانب الحفرة التي رقد فيها ، ويستمع إلى صوت جرس الكنيسة يدق الحادية عشرة مساءً . إنه يكاد لا يستطيع أن يبقى متيقظاً . إنه يعتقد أنه مضى عليه الآن بغير نوم ٧٢ ساعة ، منذ تأجيل الغزو يوم ٤ يونية ، عندما اشترك في اللعب بالورق وخطر بباله أنه شيء مضحك ، أن يتعب نفسه كل ذلك التعب ليخسر كل ما كسبه ، مع أن شيئاً لم يحدث له مطلقاً . وشعر دتش بالأسف لأنه لم يطاق طليقة واحدة طول اليوم .

وعلى شاطئ أوماها ، تحت تلال الشاطئ ألقى الشاويش « إيجنبرج » - وهو من فرقة إسعاف الجرحى - بجسمه في حفرة من حفر القنابل . لقد عالج من الجرحى عدداً لا يحصى فأضناه التعب ، ولكن بقي عليه شيء واحد ، يجب عمله قبل أن ينام . أخرج من جيبه صفحة بيضاء

متكرمشة من ورق الخطابات واستعان بضوء بطاريته وشرع يكتب خطاباً لأهله قال فيه :

« في مكان ما في فرنسا . عزيزتي ماما وعزيزي بابا . إني أعرف أنكما الآن لا بد قد سمعتما عن الغزو . وإني بخير . » .
وعند ذلك توقف لأنه لم يستطع أن يجد شيئاً آخر يكتبه !
أما على الشاطئ فإن الجنرال كوتا ، كان يشرف على سيارات النقل وهم يغطون أنوارها حتى لا يكتشفها العدو . وفي ذلك الوقت كانت تسمع صرخات الشرطة العسكريين والمشرفين على الشاطئ ، وهم يرشدون الرجال والعربات في طريقهم إلى الداخل بعيداً عن الشاطئ ، ولا زالت بعض قوارب الإنزال هنا وهناك تشتعل فيها النار ، وينبعث منها ضوء أحمر يضيء الليل . وبينما الأمواج تلاطم الشاطئ سمع كوتا صوت أحد المدافع الرشاشة وهو ينطلق ، ولكنه بعيد عنهم . وأحس كوتا بالتعب وهرت إحدى العربات فأوقفها وركب على رفرها واضعاً ذراعه على بابها .
انتظر لحظة ينظر إلى الشاطئ ثم قال لسائق العربة : « خذني معك يا بني » .

* * *

وفي مقر قيادة رومل سمعوا الأخبار السيئة . لقد فشلت فرقة البانزر الواحدة والعشرون في هجومها ، ولهذا كان لانج منقبضاً . ثم قال للفيلد مارشال رومل : « سيدى هل تظن أنه في إمكاننا أن نصدهم ؟ »

هز رومل كتفيه وبسط كفيه قائلاً : « لانج ، أرجو أن نستطيع ذلك ، لقد نجحت حتى الآن في كل عمل قمت به » . ثم وضع يده على كتف لانج وقال له : « يبدو عليك التعب . لماذا لا تذهب إلى فراشك . لقد كان يوماً طويلاً » . ثم مشى ولانج يراقبه ، وهو يسير في الممر المؤدى إلى مكتبه ، وسمع لانج الباب يقفل بهدوء .

ولم تكن هناك حركة تسمع في الفناءين الكبيرين . وكانت « لاروش جويون » في سكون تام . وسرعان ما تحورت هذه القرية التي كانت أكثر القرى الفرنسية تأثراً بالاحتلال الألماني ، كما ستحرر كل أوروبا التي أخضعها هتلر لسلطانه . ومن هذا اليوم لن تطول حياة الريخ الثالث ، دولة هتلر ، إلا أقل من سنة واحدة .

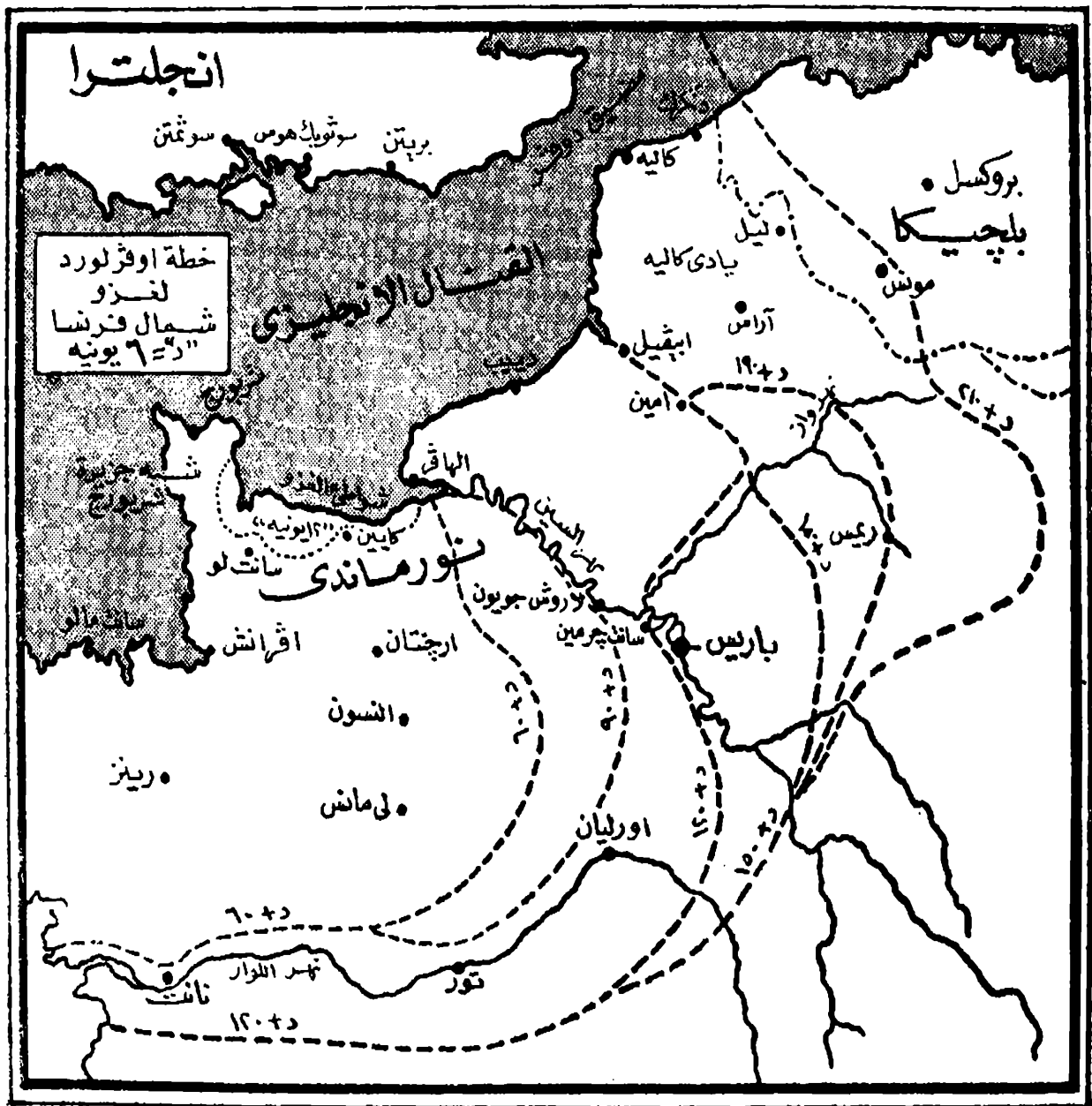
وفي كنيسة سنت سامون دق الجرس معلناً منتصف الليل ، وبذلك انتهى أطول يوم في التاريخ .

٨ - الإصابات

لقد ذكرت أرقام مختلفة عن الخسائر التي تحملها جنود الحلفاء أثناء الأربع والعشرين ساعة الأولى من الهجوم . ولا يمكن الجزم بصحة هذه الأرقام ، وهي في الأكثر تقديرات . ذلك أن طبيعة الهجوم جعلت من المستحيل الوصول إلى تقدير صحيح . ويتفق معظم المؤرخين الحربيين

بوجه عام ، على أن جملة خسائر الحلفاء في هذا اليوم بلغت عشرة آلاف ويقول بعضهم إنها بلغت ١٢,٠٠٠.

وبلغت خسائر الأمريكيين أكبر رقم وهو ٦٦٠٣ وتكون هذه الخسائر من ١٤٦٥ قتيلاً ، ٣١٨٤ جريحاً ، ١٩٢٨ مفقوداً ، ١٦ أسيراً. وتشمل هذه الأرقام خسارة الفرقين ٨٢ ، ١٠١ اللتين نقلتا بطريق الجو ، وكانت خسارتهما وحدهما ٢٤٩٩ بين قتيل وجريح ومفقود .



هذه الخريطة عن كتاب "الحرب الصليبية في أوروبا" تأليف أيزنهاور

ولم تنشر أرقام عن خسائر البريطانيين ، ولكنها تقدر بين ٢٥٠٠ ،
٣٠٠٠ ، وبلغت خسائر الكنديين ٩٤٦ منها ٣٥٥ قتيلاً .

أما خسائر الألمان فلا يعرف أحد بالضبط مقدارها . وقد أعطى
بعض كبار الضباط تقديرات مختلفة بين ٤٠٠٠ ، ٩٠٠٠ . ولكن في نهاية
شهر يونية ذكر رومل أن الخسائر الألمانية بلغت ٢٨ جنرالاً ، ٣٥٤ قائداً
للفرق وما يقرب من ٢٥٠,٠٠٠ من الجنود .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ١٩٧٠/٥١٣٧

مطابع دار المعارف بمصر

سنة ١٩٧٠

أطول يوم في التاريخ

لقد انتهت الحرب العالمية الثانية منذ ربع قرن ، لكن الحديث عنها لم ينته بعد ، فإن الكثير من خفاياها لا يزال طي الكتمان ، تتطلع النفوس الي معرفته.

كتاب « أطول يوم في التاريخ » يتحدث عن غزو الحلفاء ألمانيا في مختلف الجبهات ، ويصف مراحل هذا الغزو ويصورها أصدق تصوير ، ويجمع أخباراً وقصصاً ومعلومات جمة عن ذلك اليوم الذي استغل الحلفاء فيه كل دقيقة حتى ثبتت أقدامهم ، وتحقق لهم النصر .

نم لاساواة الشرفع بوا سطة

مكتبة عملك

ask2pdf.blogspot.com